نساء حول الرسول صلى الله عليه وسلم

القدوة الحسنة والأسوة الطيبة لنساء الأسرة المسلمة

محمد إبراهيم سليم

المرأة العربية فى ميزان النّبوّة !

« خيرُ نساءٍ رَكِبْنَ الإبِلَ .. صالحُ نساءِ قُرَيشٍ
* أحنـــاهُ على وَلـــدٍ ..
* وأَرْعــاهُ علَى زوجٍ فى ذاتِ يَدِه !! »

[حديث شـريف]

[أخرجه البخارى فى صحيحه ومسلم وأبو داود والنسائى وابن حبان]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى خلقنا من نفس واحدة ، وجعل منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء .

وصلاةً وسلاما على من علمنا أن « **النساء شقائق الرجال** »[١]، وأن « **الجنة تحت أقدام الأمهات** »[٢]، وأن « **من ابتُلِى من هذه البنات بشىء ، فأحسن إليهن كن له سترا من النار** »[٣].

وبعـد

فلقد كرم الإسلام المرأة : وليدة وفتاة .. زوجة وأماً .. أختًا وبنتاً .

ولقد ذكر القرآن الكريم عددا من النساء كان لهن دور بارز فى تاريخ البشرية مثل : حواء ، وأم موسى ، وأخته ، وزوجة فرعون ، وملكة سبأ ، ومريم ابنة عمران .

كما حفلت آيات القرآن بإجابة عن أسئلة النساء ، أو حل لمشاكلهن كما فى « سورة المجادلة » .

وقد نزلت آيات من القرآن فى عدد من النساء ، كما نزلت آيات أخرى فى عدد من الرجال . إلى جانب إفراده سورتين للنساء هما : سورة النساء ، وسورة الطلاق ، التى تسمى « سورة

(١) أخرجه أحمد فى المسند (٦/٢٥٦) ، وأبو داود فى سننه (كتاب الطهارة باب الرجل يجد شيئا فى منامه حديث رقم ٢٣٦) .

(٢) أخرجه النسائى بلفظ « فالزمها فإن الجنة عند رجلها » [حسن الأسوة] .

(٣) أخرجه الشيخان والترمذى . [حسن الأسوة] .

سورة النساء الصغرى » .

وقد تحدث القرآن عن المؤمنات اللاتى جئن رسول الله ﷺ مبايعات أو مهاجرات كما فى « سورة الممتحنة » .

ماذاك إلا لأن المرأة نصف الأمة بل هى بمنزلة القلب منها فإذا صلحت صلحت الأمة ، وإذا فسدت فسدت الأمة . وقد أدرك هذا أعداء الإسلام الذين يتربصون به وكشفت الأيام عن نواياهم .

تقول المبشرة : « أنا ميلجان » :

« ليس هناك طريق لهدم الإسلام أقصر مسافة من تعليم بنات المسلمين فى مدارس التبشير الخاصة » !!

« .. إن القضاء على الإسلام يبدأ من هذه المدارس التى أنشئت خصيصاً لهذه الغاية . والتى تستهدف صياغة المرأة المسلمة على النمط الغربى الذى تختفى فيه كلمة : الحرام ، والحياء ، والفضيلة »[1].. ثم تقول : « ليس هناك طريق لهدم الإسلام أقصر مسافة .. من خروج المرأة المسلمة سافرة متبرجة »[2].

وإذا كنا بصدد إعادة صياغة العقل المسلم فإن المرأة المسلمة مدعوة فى هذا العصر إلى مشاركة الرجل بل إلى سبقه أيضاً فى العودة إلى الإسلام ، والتمسك به بقوةٍ : عقيدةً ، وعبادةً ، وسلوكاً ؛ حتى يتسنى لنا - من جديد - إعادة بناء البيت الإسلامى على دعائم قوية ينشأ فى ظلالها الأبطال ، والمجاهدون فى سبيل إعلاء كلمة الله ، كما رأينا فى صدر الإسلام .

وإن خير ما يساعدنا على بلوغ الهدف : « القدوة الحسنة والأسوة الطيبة » فلا صلاح لهذا المجتمع إلا بما صلح به أوله

﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ [الأنعام : ٩٠]

---

(١) ملحق مجلة الأزهر . جمادى الآخرة ١٤٠٥هـ د . عبد الودود شلبى .

(٢) نفس المرجع .

فإلى الذين ينشدون مجتمعاً مثالياً ، مترابط الأواصر ، قائماً على الحب ، والتراحم ، والإيثار ، ورعاية الكرامة الشخصية لكل فرد مع الاستمساك بأهداب العفة ، والحياء ، والوقار .. إليهم أقدم هذه النماذج وتلك الأمثلة العليا للمرأة فى صدر الإسلام ، وإن شئت فقل : لنساءٍ كن حول الرسول ﷺ فى كل معاركه فمازالت سيرة الصحابيات منارة لمن أردن الله ورسوله والدار الآخرة ، إنها نماذج عُلْيا ، أحسن اختيارها وأعيد تنسيقها ، ورُكِّز على مواطن القدوة منها ﴿ فبهداهم اقتده ﴾ . [الأنعام : ٩٠]

هذا .. وقد أتحت للمرأة المسلمة أن تعايش تسع نماذج للقدوة فى مجالات متعددة ، وفى شتى الميادين .. فى السلم والحرب .. فى البعد والقرب .. وتحت كل « نموذج » من هذه النماذج ستة أمثلة تبرز جوانب القدوة فى المرأة المسلمة فى عصرها الأول .. مؤيدة للدعوة .. وحاملة للراية ، ومدافعة عن الحق ، وواقفة كالطود من حول الرسول ﷺ تؤيده ، وتناصره ، تبايعه ، وتتابع خطاه ، وتذود عنه وتهاجر فى سبيل الله .

إن المرأة المسلمة اليوم تقع تحت ضغوط تكاد تبعدها عن منابع الإسلام الأولى ، وتحول بينها وبين تفهم رسالته .

ألا ما أشد حاجتها إلى وعى جديد بدينها ،وتعرّف على قيمه ومبادئه التى انتصر بها وساد العالم !

لقد قرر الإسلام للمرأة حقوقاً لم تكن تعرفها من قبل .. فردّ لها حقها المسلوب فى الحياة ، وجعل لها حقًّا مشروعًا فى المُيراث .

وحقق لها الاستقلال الاقتصادىّ فيما تملك .

وجعل للزواج أحكاماً .

ووضع للطلاق وتعدد الزوجات شروطا وقيوداً . وقرر للزوجين من الحقوق والواجبات ما تستقيم به الحياة الزوجيّة ،

وتقوى به الروابط والعلاقات الأسرية .

وأعطى الإسلام المرأة الحق فى طلب العلم ، وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة .

وجعلها شريكة للرجل فى ميدان القتال ، وأوجب عليها الخروج للدفاع عن الوطن بغير إذن من زوجها إذا هجم العدوّ واعتدى على حرمة البلاد .

واحترم الإسلام رأى المرأة ، واستمع إليه ، وقرره مبدأ يسير عليه التشريع العام .

ولما كانت المرأة قد حصلت على كثير من الحقوق ، فقد حمّلها الإسلام من المسئوليات ما يتناسب مع ما حصلت عليه من حقوق .

فجعلها مسئولة عن نفسها ..

وعن عبادتها ..

وعن أسرتها .. فهى فى بيت زوجها راعية ومسئولة عن رعيتها . ومن هنا راحت تشارك فى صنع الحياة ، وتؤدى رسالتها على الوجه الأكمل ، كما نرى فى هذه النماذج التى وقع الاختيار عليها من كتب المغازى والسير لتمثل شتى جوانب القدوة .

إنهم اليوم يشوهون صورة المرأة المسلمة ليطعنوا الإسلام من خلالها ، وما أكثر أعداء الإسلام الذين يتربصون به الدوائر ، وكَمْ أرجو أن يقود هذا الكتاب خطانا على طريق الإيمان ، وأن يبدد الضباب الكثيف الذى حال دون الرؤية السليمة ، وأن يضع الأقدام على درب الإيمان ، فمن سار على الدرب وصل . إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

محمد إبراهيم سليم

القاهرة فى : ١٨ من ذى الحجة ١٤١٠ هـ
١٠ من يوليو ١٩٩٠ م

نماذج القدوة الحسنة والأسوة الطيبة

١ - أحنـــاه علـــى ولـــد : [ست نماذج]
٢ - أرعـــاه علـــى زوج : [ست نماذج]
٣ - بنـــات مثاليـــات : [ست نماذج]
٤ - أخـــوات مسلمـــات : [ست نماذج]
٥ - مبايعـــات صـــادقـــات : [ست نماذج]
٦ - مهاجـــرات مضحيـــات : [ست نماذج]
٧ - مجاهـــدات فدائيـــات : [ست نماذج]
٨ - مـــداويـــات آسيـــات : [ست نماذج]
٩ - راويات للحديث عالمات : [ست نماذج]

٦ × ٩ = ٥٤ نموذجـاً

أولاً

المرأة المسلمة أمًّا وحاضنة ومُرْضِعًا

- أم هانىء .
- لبابة بنت الحارث الهلالية
- أروى بنت عبد المطلب
- أم أيمن بركة بنت محصن
- حليمة السعدية
- الشيماء بنت الحارث السعدية

أحناه على ولد

أمـومـة مثاليـة

تتجلى أمومة المرأة المسلمة فى أنبل الصور ، وشتى المواقف .

إنها فيض غامر من الأمومة تسبغها على الجميع ..

فإذا هى الحُبُّ كله ، والعطف كله ..

وإذا هى حنان وإيثار ..

وإذا هى بذل وتضحية ..

وإذا هى صبر وفداء ..

وكما تتجلى أمومتها فى السلم ، تتجلى فى ميدان الحرب والقتال فإذا هى « أم المجاهدين » .

وإذا هى ترعاهم وتسهر عليهم كما تسهر على بنيها ، وتعبر إحداهن عن الأمومة بقولها فى الحديث الذى رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وأخرجه أبو داود والحاكم وقال : صحيح الإسناد :

« يا رسول الله ، إن ابنى هذا كان بطنى له وعاء ، وثديى له سقاء وحجرى له حواء ... » .

هذه هى الأمومة الحقة وإليك نماذج للأمهات الفضليات .. والحاضنات الشفيقات .. والمرضعات الحانيات .

١ ـ أم هانىء

فاختة بنت أبى طالب بن عبد المطلب إن سألت عنها فهى ابنة عم رسول الله ﷺ أمها : فاطمة بنت أسد بن هاشم وهى إحدى ذوات الرأى والأدب الجمّ من قريش !

خطبها رسول الله ﷺ فى الجاهلية وكان أبوها قد وعد بها « هُبَيْرة بن أبى وهب » فظفر بها .

وفى مستهل الإسلام أسلمت « أم هانىء » ولم يُسلم زوجُها ، ففرّق بينهما بحكم الإسلام ! وراحت تقوم على رعاية أبنائها الأربعة الصغار !

وخطبها رسول الله ﷺ ثانية فقالت : يا رسول الله ، لأَنْت أحبّ إلىّ من سمعى ومن بصرى وحقّ الزوج عظيم ؛ فأخشى إن أقبلت على زوجى أن أضيّع بعض شأنى وولدى ! وإن أقبلت على ولدى أن أضيّع حقّ زوجى !

فقال رسول الله ﷺ : « **إن خيرَ نساءٍ ركبن الإبل نساءُ قريش : أحناه على ولد فى صغره ، وأرعاه على بَعْل فى ذات يده** »[1].

وكان لأم هانىء شخصيتها القوية ، فلقد كانت المرأة العربية فى عهد الإسلام – كما كانت فى الجاهلية – تُجير الخائف وتؤمّن المروّع ؛ فقد أجارت أم هانىء بنت أبى طالب رجلين من أحمائها كتب عليهما القتل ، وها هى ذى تحدثنا عن ذلك .

---

(١) ذكره ابن الأثير فى النهاية نقلا عن الهروى . وعلق عليه بقوله : ووحّد الضمير وأمثاله ذهابا إلى المعنى تقديره : أحنى من وجد ، أو خلق ، أو من هناك ومثله قوله : أحسن الناس وجها ، وأحسنه خلقا وهو كثير فى العربية ، ومن أفصح الكلام .

قالت : لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكة فر إلىّ رجلان من أحمائى من بنى مخزوم ، فدخل علىّ « علىُّ بن أبى طالب » أخى ، فقال : والله لأقتلنّهما ، فأغلقت عليهما باب بيتى . ثم جئت رسول الله ﷺ فقال : **مرحباً وأهلاً يا أم هانىء ! ماجاء بك ؟!** فأخبرته خبر الرجلين وخبر على ؛ فقال : **« قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء ، وأمّنا من أمّنتِ ؛ فلا يقتلهما »**[1].

وقد روى أصحاب الصحاح الستة جميعا عن « أم هانىء » وعاشت حتى جاوزت عهد أخيها علىّ رضى الله عنه .

أرأيتِ أيتها المسلمة كيف رفع الإسلام مكانة المرأة ، وأعلى منزلتها ، وحررها من القيود والعادات التى كانت شائعة فى الجاهلية ، وقرر لها حقوقا لم تكن تعرفها من قبل .

ومما يدل على منزلة المرأة فى الإسلام وإكرامها والمحافظة على شعورها أن الرسول ﷺ حافظ على عهدها ، ووفى بما وعدت به بهذا القول الحكيم : **« قد أجَرْنا من أجَرْت يا أم هانىء »** .

عـود على بدء !! :

وهل هناك ما هو أدل على احترام رأى المرأة من حديث أم هانىء بنت أبى طالب ، وقد خطبها رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، لأنت أحب إلى من سمعى ومن بصرى ، وإنى امرأة مُؤْتِمَة ، وبَنِىّ صِغَار ، وحق الزوج عظيم . فأخشى إن أقبلت على زوجى أن أضيع بعض شأنى وولدى ، وإن أقبلت على ولدى أن أضيع حق زوجى !

فقال رسول الله ﷺ : **« إن خير نساء ركبن الإبل نساء قريش ، أحناه على ولد فى صغره ، وأرعاه على بعل فى ذات يده ، ولو علمت أن مريم ابنة عمران ركبت الإبل ما فضلت عليها أحداً »**[2].

تلك امرأة أبدت صفحة العُذر عن بلوغ أقدس منزلة تبلغها المرأة

---

(١) سيرة ابن هشام ج٢ ص ٨٢٠ والبخارى ج ٨ ص ٣٧ .

(٢) كتاب الطبقات الكبرى ج ٧ ص ٣٢ ، والإصابة ج ٨ ص ٢٨٧ .

المسلمة ، وهى منزلة أمومة المؤمنين ، فأكبر الرسول ﷺ رأيها إكباراً ، فقلد قريشاً بأسرها تلك الشهادة العالية الكريمة !

وهل هناك أحنى على ولد من تلك التى ضحت بأن تكون أمًّا للمؤمنين من أجل رعاية أولادها ؟!

إننى أهدى قصتها إلى كل أم تضحى من أجل أولادها !

٦ -

لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية

أم عبد الله بن عباس

تشير كتب التراجم إلى أن هناك «لبابتين» كلتيهما تحمل هذا الاسم كاملا .

ومن عجب أنهما أختان : كُبْرى .. وصُغْرى .

أما الكبرى : فقد قدمت لنا « عبد الله بن عباس » حَبْر الأمة .

وأما الصغرى : فهى أم خالد بن الوليد سيف الله المسلول . وتلقب العصماء ، وفى إسلامها وصحبتها نظر كما قال أبو عمر فى الاستيعاب ، وأقره ابن كثير .

إن لبابة الكبرى مشهورة بكنيتها ، ومعروفة باسمها ، فهى « أم الفضل » زوج العباس بن عبد المطلب والدة أولاده : الفضل وعبد الله وغيرهما .

من فواضل نساء عصرها . قديمة الإسلام ، فكان ابنها عبد الله يقول : **« كنت وأمى من المستضعفين من النساء والولدان »**(١) .

[أخرجه البخارى]

أسلمت بمكة بعد خديجة بنت خويلد - رضى الله عنها - وكان لها منزلة بين نساء المسلمين .

وكان يقال لوالدة « أم الفضل » : أكرم الناس أصهارا : ميمونة زوج النبى ﷺ . والعباس تزوج أختها شقيقتها لبابة ، وحمزة تزوج أختها سلمى ، وجعفر بن أبى طالب تزوج شقيقتها أسماء ، ثم تزوجها بعده أبو بكر الصّديق ، ثم تزوجها بعده علىّ .

---

(١) يشير إلى قول الله تعالى : ﴿ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان﴾ [النساء : ٧٥] . أى من كان بمكة من المؤمنين تحت إذلال الكفار .

قال أبو عمر فى الاستيعاب : كانت من المنجبات[1]، وكان النبى ﷺ يزورها . وكانت أم الفضل من عِلْية القوم .

وفى الصحيح « أن الناس شَكُّوا فى صيام النبى ﷺ يوم عرفة ، فأرسلت إليه « أم الفضل » بقدح لبن فشرب وهو بالموقف ، فعرفوا أنه لم يكن صائماً » .

روت عن النبى ﷺ ثلاثين حديثاً .

أخرج لها منها فى الصحيحين ثلاثة أحاديث :

أحدها متفق عليه . والثانى للبخارى . والثالث لمسلم .

وروى عنها ابنها عبد الله بن عباس .

ومما يذكر أنها كانت تأمل فى بدء حياتها أن يصبح ابنها شيئاً مذكوراً ، فقد كانت تُرَقصه وهى تقول :

ثكلت نفسى وثكلت بِكرى إن لم يَسُدْ فِهْراً وغيرَ فهر

وقد ساد الجميع بعلمه ، فقد أصبح حَبْر الأمة وعالمها .

أرأيت كيف كانت حانية على ولدها ؟!

لقد توفيت قبل زوجها العباس بن عبد المطلب فى خلافة عثمان بن عفان .

---

(١) فهى أم أولاد العباس الستة النجباء .

٣ - أروى بنت عبد المطلب

عمة رسول الله ﷺ أخت صفية

أسلمت أروى بنت عبد المطلب بمكة .. وهاجرت إلى المدينة .

وكانت قبل إسلامها تعضّد النبى ﷺ ؛ فذكروا أن ابنها « كُليبا بن عُمير » أسلم فى دار « الأرقم بن أبى الأرقم المخزومي » . ثم خرج فدخل على أمه أروى بنت عبد المطلب فقال : « تَبِعْتُ محمداً وأسلمت لله » !

فقالت له أمه : إنّ أحقَّ من وَازرت وعضَّدت ابن خالك ! والله لو كنا نقدر على ما يقدر عليه الرجال لتبعناه ودافعنا عنه .

فقال كُليب : فما يمنعك يا أمى من أن تُسلمى وتَتّبعيه فقد أسلم أخوك حمزة ؟

فقالت : أَنْظُر ما يصنع أخواتى ، ثم أكون إحداهن .

فقال كليب : فإنى أسألكِ بالله إلا أتيتيه فسلّمتِ عليه ، وصدّقتيه ، وشهدتِ أن : « **لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله** » .

ثم كانت تعضد النبى ﷺ بلسانها وتَحُضُّ ابنها على نُصرته والقيام بأمره .

وعَرَضَ أبو جهل وعِدَّةٌ من كفار مكة للنبى ﷺ فآذوه ، فعمد « كليب ابن عمير » إلى أبى جهل فضربه ضربة شجّه فأُخذوه وأوثقوه ، فقام دونه أبو لهب حتى خلاّه !

فقيل لأروى : ألا تَرَيْن ابنك « كليباً » قد صيّر نفسه غرضاً دون محمد ؟

---

(١) ذكرها أبو جعفر فى الصحابة . وأما ابن إسحاق ومن وافقه فقد قالوا : لم يسلم من عمات النبى ﷺ غير صفية .

وقال غير هؤلاء : أسلم من عمات النبى صفية وأروى وهو الصواب .

وترجم لها الإمام الذهبى فى سير أعلام النبلاء .

فقالت : خير أيامه يومٌ يدفع عن ابن خاله وقد جاء بالحق من عند الله . فقالوا : ولقد تَبِعْتِ محمداً ؟ فقالت : نعم .

فخرج بعضهم إلى أبى لهب فأخبره ، فأقبل حتى دخل عليها فقال :

عجبا لك ولاتّباعكِ محمداً وتَرْكِكِ دينَ عبد المطلب ! فقالت : قد كان ذلك ، فقم دون ابن أخيكْ واعضُدْه وامنعه ، فإن يظهر أمرُه ، فأنت بالخيار : أن تدخل معه أو تكون على دينك ، فإن يُصِبْ كنت قد أعذرت فى ابن أخيك .

فقال أبو لهب : ولنا طاقة بالعرب قاطبة .. جاء بدين محدث . ثم انصرف !

وقالت أروى :

إن كليبا نصر ابن خاله وَاسَاه فى ذى ذِمّةٍ وماله

أرأيت كيف وقفت دون رأى ابنها تشجعه وتؤازره ؟!

وقد رثت أروى أباها عبد المطلب فقالت :

بكت عينى وحقّ لها البكاء على سمحٍ سَجِيَّته الحَياء

وقالت ترثى رسول الله ﷺ :

ألا يارسول الله كنت رجاءنا وكنتَ بنا بَرّاً ولم تك جافياً

وتوفيت نحو سنة ١٥ هـ .

٤ - أم أيمن

حاضنة رسول الله ﷺ

قد يجد اليتيم فى غير أمه من تعوضه بحنانها ورعايتها عن حنان أمه كما فعلت « أم أيمن » وإليك قصتها من البداية إلى النهاية ..

لقد كان أهل مكة يعيشون أفراح النصر على أصحاب الفيل .. بينما كانت « آمنة بنت وهب » تُؤْثِرُ العزلة ، وترغب فى الخلوة إلى نفسها ..

كانت تريد أن تسعد بهذا الجنين الذى تُحِسُّه فى أحشائها ، ولكنها لا تلبث أن تذكر زوجها ، وأنه قد حرم السعادة بهذه النعمة .

لكنّ النورَ الذى رأته ملأ جوانحها بالإشراق والصفاء والسعادة ، وأنساها ما ألَمّ بها !

وعطف الله على هذا اليتيم قلوبا ملئت حُبًّا وفاضت حنانًا ورحمة .

إن هذه الأَمَة الحبشية وقد ورثها اليتيم عن أبيه الفقيد لا تكاد ترى هذا الوليد حتى يُلْقى الله حبه فى قلبها ، وحتى يعطفها الله عليه ، وحتى يجعله لها قُرَّة عين .. فراحت تحضن الطفل وتحنو عليه ، وتؤثره بمزيد من المحبة والبر ، ومن المودة والعطف ومن الحنان والرفق بكل هذه الكنوز التى تحتويها قلوب الأمهات حتى تفد مرضعته مع المراضع إلى مكة فتنتزعه منها ومن أمه انتزاعاً ، وترحل به إلى البادية .

وتصبر على ذاك الرحيل وهذا الفراق .. وهى الصابرة المحتملة .

ثم يعود الصبى الناشىء من البادية إلى مكة إلى أمه وإلى حاضنته لينعم بعطفهما عليه ، ورعايتهما له .

وترحل أم الطفل به إلى يثرب لتُزِيرَه أخواله من بنى النجار ، فترحل

الحاضنة معهما ، وينعم الطفل بحنان هذين القلبين الكريمين .

حتى إذا قضى الطفل وأمه وطراً من زيارة الأرض الموعودة ، عاد بين أميّه الكريمتين إلى موطنه بمكة .. ولكن ما يكاد الطفل يبعد عن يثرب حتى تلم العِلّة بأمه كما ألمت بأبيه قبل أن يصل إلى الدنيا ، ولا يكاد الطفل ينتهى إلى « الأبواء » حتى ينزع الموت منه أمه ، كما نزع منه أباه ..

وأصبح الطفل كما أراد الله له يتيما قد فقد الأم والأب .. وعندئذ خلص لحاضنته من دون الناس ، وتعود به إلى جده ، وأعمامه وحيداً فريداً يرعاه قلبها الكريم .

من ذلك الوقت أصبحت للطفل أما ، رعته صبيًّا وشابًّا حتى إذا بلغ سن الرجال واتخذ له أسرة ، نظر إليها فأعتقها ، ورد لها حقها الكامل فى الحياة الكريمة .

هنالك اتخذت لها زوجا من أهل يثرب كان مقيما بمكة فعاشت معه ماشاء الله أن تعيش ، ورحلت معه إلى يثرب حتى إذا مات عادت إلى ابنها الأول ، ومعها ابنها الثانى « أيمن بن عبيد » فعاشت فى كنف هذا اليتيم ، وعاش معها ابنها سعيدين ناعمين .

ويُتم الله نعمته على هذا اليتيم فلا يشغله شيء عن أمه هذه ويعبر ﷺ عن مشاعره تجاهها فيقول كلمة ملؤها البر والحنان والوفاء : « **إنها بقية أهل بيتى !** »[1].

وإنه ﷺ ليحرص على أن تحيا وتنعم بالحياة فيقول لأصحابه : « **من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن** »[2]. هنالك أسرع مولاه زيد فاتخذها له زوجًا .

وتهاجر من مكة إلى المدينة لتلحق بأحب الناس إليها لا يؤنسها فى الطريق إلا إيمانها .. وتبلغ المدينة فيلقاها ابنها حفيا بها عطوفاً عليها ، وتقضى معه أيامها فى المدينة لا تكاد تفارقه .. نراها يوم « أحد » تشهد الحرب مع المسلمين ..

---

(١) عن الواقدى . كما فى الإصابة .

(٢) سير أعلام النبلاء (ج ٢ ص ١٥٩ - ١٦١) .

تطوف بالماء .. تسقى الجرحى ومن مَسَّهُم الجهد .

وتشهد خيبر مع ابنها تواسى المسلمين وتمنحهم من عطفها ورعايتها ورحمتها ..

ويقبل عليها النبى ﷺ فى السلم يمازحها ولكنه لم يكن يقول إلا حقا .. وعندما تصعد نفسه الكريمة إلى بارئها تبكى على الوحى الذى سينقطع بموته .

وتعيش لتشهد موت عمر ، فتقول قولتها : « **الآن وهى الإسلام !!** » . وفى مستهل خلافة عثمان تلقى ربها راضية مرضية .

وبعد .. فهذه أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته تلك التى ورثها من أبيه[1]، فأعتقها ﷺ عندما تزوج خديجة بنت خويلد .

وتزوجها عبيد بن زيدفولدت له « أيمن » . صحب النبى ﷺ وقتل يوم حنين . وكان زيد بن حارثة مولى خديجة بنت خويلد فوهبته لرسول الله ﷺ فأعتقه وزوجه أم أيمن بعد النبوة فولدت له أسامة بن زيد . لقد هاجرت الهجرتين ، وروت عن النبى ﷺ خمسة أحاديث[2].

---

(١) مختصر سيرة الرسول ﷺ للشيخ عبد الله النجدى ص١٢ ، تلقيح فهوم أهل الأثر ص٤ صحيح مسلم ٩٦/٢ .

(٢) يمكن الرجوع إلى ترجمة حياتها بطبقات ابن سعد ، وتاريخ الطبرى . صحيح البخارى . الإصابة لابن حجر .

٨ - حليمة السعدية

مرضعة سيد البشر

كل الذين يستعيدون أحداث السيرة النبوية يذكرون « حليمة السعدية » !! فلقد كانت على جانب عظيم من حسن الطبع وجمال الخلق، ورقة القلب ..

ولأمرٍ مَّا اختارها الله لتكون مرضعة لسيد البشر ! لم تجد « حليمة » وقد جاءت مع نساء بنى سعد غير يتيم عبد المطلب لترضعه !

إنها من بنى أسد بن بكر هوازن وتنتهى لقيس عيلان ، ولو لم تكن ذات شرف وخلق قويم وقلب رقيق لم يرضع عبد المطلب حفيديه : محمداً وأبا سفيان منها . بقى عندها أربع سنوات ربته على الأخلاق العربية .. على المروءة والشهامة والصدق والأمانة ، ثم ردّته إلى أهله وعمرهُ خمس سنوات وشهر واحد ! بعد أن غمرتها بركات هذا اليتيم !!

وقد أحب النبى ﷺ مرضعته حباً كثيراً حتى أنه لما أخبرته بعد فتح مكة إحدى نساء بنى سعد بوفاتها ذرفت عيناه عليها !

ثم قالت له الناعية : أخواك وأختاك محتاجون ! فأرسل إليهم ما يحتاجون إليه !

فقالت له الناعية : نِعْم– واللهِ – المكفولُ كُنت صغيرا ، ونِعْم المرءُ كنتَ كبيراً عظيم البركة !

لاشك أن الرسول ﷺ عادت به الذكريات إلى أيامه الأولى فتذكر طفولته ، وحُنُوّ مُرْضِعَتِه عليه ، وأُلْفته مع إخوته وأخواته .

لقد كانت حليمة السعدية من حوله فى طفولته ولاشك أنها تركت فى

نفسه أثرا عميقاً ، وحين ورد ذكرها على قلبه الحساس ذرفت عيناه ﷺ الدموع عليها .

فإلى كل من ترعى يتيما بلمسة حانية ، أو كلمة للنفس شافية ، أو بسمة للروح مداوية ، أهدى قصة حليمة السعدية وما كافأها الله به من رزق وخير وأجر عظيم !

وإلى كل الأبناء من الرضاعة نقدم الحديث الذى أخرجه أبو داود وأبو يَعْلَى وغيرهما ، من طريق عمارة بن ثوبان عن أبى الطفيل – أن النبى ﷺ كان بالجعرانة يقسم لحما ، فأقبلت امرأة بدوية ، فلما دنت من النبى ﷺ بسط لها رداءه ، فجلست عليه ، فقلت من هذه ؟ قالوا : هذه أمه التى أرضعته[1].

(١) الإصابة ج ٧ ص ٥٨٥ .

٦ -
الشيماء بنت الحارث السعدية

من منا لا يذكر « الشيماء السعدية » حاضنة رسولنا ﷺ حين يسمع ذلك الاسم الجميل : « حليمة السعدية » ؟!!

إن محمداً ﷺ كان وحيد أبويه ، فليس له أخ أو أخت من النسب .

لكنه كان له إخوة من الرضاع .. فمن هم ياترى ؟ ذكر ابن إسحاق من رواية يونس بن بكير وغيره عنه أن إخوة النبى ﷺ من الرضاعة : عبد الله ، وأنيسة ، وحذيفة بنو الحارث ، وحُذَافةُ هى : الشيماء غلب عليها ذلك .

قال : وذكروا أن الشيماء كانت تَحْضُن الرسول ﷺ مع أمها ، ومن أجل هذا نرى الكثيرين يسمون بناتهم « الشيماء » تكريما للدور الذى قامت به من رعاية النبى ﷺ فى طفولته .

لقد كانت ترقّص النبى ﷺ وهو صغير قائلة :

يـاربّ أَبْـقِ لنـا محمـداً حتـى أراه يافعـاً وأمـردَا
ثُـمّ أراه سيّـداً مُسَوّدَا واكْبت أعاديه معًا والحُسَّدَا
وأَعْطِه عزّاً يدوم أبدَا

قال : فكان أبو عروة الأزدى إذا أنشد هذا يقول : ما أحسن ما أجاب الله دعاءها !!

ويقول ابن سعد : كانت الشيماء تحضُن النبى ﷺ وتُورّكه[٢]؟

---

(١) الإصابة . كما ذكر محمد بن المعلى الأزدى فى كتاب الترقيص .

(٢) توركه : تجلسه على وركها .

وقال أبو عمر : أغارت خيل رسول الله ﷺ على هوازن ، فأخذوها فيما أخذوا من السبى ؛ فقالت لهم : أنا أخت صاحبكم ، فلما قدموا بها قالت : يا محمد ، أنا أختُك ، وعرّفته بعلامة عرفها ، فرحّب بها ، وبسط رداءَه ، فأجلسها عليه ، ودمعت عيناه ، فقال لها : إن أحببت أن ترجعى إلى قومك أوصلتك . وإن أحببت فأقيمى مكرمة محبّبة ، فقالت : بل أرجع ، فأسلمت ، وأعطاها رسول الله ﷺ نَعَمًا وشاءً ، وثلاثة أعبد وجارية .

إن كل الذين قاموا بدور فى حياة رسولنا ﷺ سواء فى صِغَرِهِ ، أم بعد رسالته ، وأيّدوه وساندوه ، ووقفوا إلى جانبه ، وكانوا حوله لهم منا – نحن المسلمين – كل التقدير على ما قاموا به ، وما أسدوه .

بقيت لمسة الوفاء التى تجلت فى إكرام الرسول ﷺ لها عندما عرفها !

ألا ليتنا نذكر الفضل لأهل الفضل ، فلا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوو الفضل !!

كم منا يذكر مرضعته ؟!

وكم منا يذكر حاضنته ؟!

ألم يجعل الرسول الجنة تحت أقدام الأمهات ؟!

ثــانيــاً

المرأةُ المُسلمَة زَوْجـة

- خديجة أم المؤمنين .
- سودة بنت زمعة
- زينب بنت محمد ﷺ
- رقيــة بنت محمد ﷺ
- أم حكيم زوجة عكرمة بن أبى جهل .
- خولة بنت مالك بن ثعلبة

أرعاه على زوج فى ذات يده

خير ما يكنز الرجل

يقول الرسول ﷺ لعمر : « **ألا أخبرك بخير ما يكنز ؟! المرأة الصالحة : إذا نظر إليها سرّته .. وإن أمرها أطاعته .. وإن غاب عنها حفظته ..** »
[أخرجه أبو داود]

وما تزال صورة الزوجة المسلمة راسخة فى وجداننا وضميرنا .. تلك الصورة المثالية لسلوك المرأة العربية التى تتجلى رعايتها للأسرة فى تحمل المسئولية فهى فى بيت زوجها راعية ومسئولة عن رعيتها .. إن علاقتها بزوجها قوامها الحب المتبادل ، والعطف والحنان ، والإيثار ، والبذل ، والتضحية ، والفداء !

ويكفى فى الإقرار بفضلها أن أول قلب خفق بالإسلام وتألق بنوره قلب امرأة فاضلة نبيلة .. هى خديجة بنت خويلد زوج الرسول ﷺ وليس بعد ذلك من تشريف للمرأة فى الإسلام ورفع لقدرها ، فتعال نتابع مسيرتها فى الوقوف إلى جانب الدعوة الوليدة .

١ - خديجة بنت خويلد

لئن لقى النبى ﷺ من رجال قريش ما لقى من صَدّ وإيذاء فقد وقفت إلى جانبه امرأتان .. وقفتا من وراء الدعوة الإسلامية تؤيدانها وتسهران على خدمة رائدها ﷺ : خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت أسد واستحقت « خديجة » بهذا أن تكون خير نساء العالمين .

وكيف لا تكون كذلك وهى أم المؤمنين ، خير الزوجات والأسوة الحسنة للمقتدين .

هيأت للنبى ﷺ بيتًا هانئا قبل بعثته .. وأعانته على التأمل فى غار حراء .. وكانت أولَ من آمن به عندما دعا إلى ربه .. وكانت خيرَ من واساه بالنفس والمال والأهل .. سيرتها عطرة .. وحياتها بالبر عامرة ، ونفسها بالخير زاخرة .

يقول رسولنا ﷺ : **« آمنت بى إذ كفر الناس وصدَّقتنى وكذَّبنى الناس وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس »**[(١)].

فمابالنا نبحث عن القدوة هنا وهناك وأمامنا « خير نساء العالمين » خديجة بنت خويلد ، أم المؤمنين الزوجة الوفية المطيعة التى أحسنت عشرة زوجها ، وأعانته على خلوته قبل البعثة وثبتته وصدقته ، وسبقت الناس إلى الإيمان برسالته وواسته وواست المسلمين بنفسها ومالها وآلها فجزاها الله عن دينه ونبيه خير الجزاء ، ولقَّاها نَضْرَة ونعيما فى « قصرها » الذى بشرها به النبى فى حياتها !

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر .

عندما أتى جبريلُ النبيَّ ﷺ فقال : « **يا رسولَ الله ، هذه خديجة**[1] **قد أتت معها إناء فيه إدام وطعام أو شراب ، فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلامَ من ربِّها ومِنِّي ، وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب**[2] » .

أليس هذا القصر خيرا من قصور الدنيا يا من غرتكم الدنيا ؟! أليست هذه البشرى خيرا من الدنيا وما فيها ؟!!

إن السيدة خديجة - رضى الله عنها - كانت أول من انضم إلى الركب المؤمن ، وأول من آمن بالله فى الأرض بعد النبى ﷺ .

وحملت اللواء مع الرسول ﷺ من اللحظة الأولى ، تجاهد وتكابد ، تفقد ثروتها وتعادى قومها ، وتقف من وراء زوجها ونبيها حتى الرمق الأخير .

وحق لها أن تكون مثلهن الأعلى .

وكيف لا وقد كانت للنبى ﷺ منذ أول ساعات النبوة أول مؤيد ! لقد نزل عليه الروح الأمين أول ما نزل فى غار فى الجبل فأقرأه ماشاء الله أن يُقرئه من آى الكتاب الكريم ، ثم أخذ يتراءى له فى طريقه بين السماء والأرض ، فلا يلتفت يمنة ولا يسرة حتى يراهُ ، فيقف لا يتقدم ولا يتأخر .

كل ذلك ورسول الله ﷺ بين شعاب الجبل ، وفى وحشة الطريق ، فلا أنيس ولا سمير ولا معين ولا نَصير !

لم يزل النبى ﷺ فى موقفه هذا حتى انصرف الملك عنه ، فانصرف هو إلى خديجة فزعاً مرعوبًا بما سمع ورأى ، فلما بصرت به قالت : أين كنت يا أبا القاسم ؟ فوالله لقد بعثت رسلى فى طلبك حتى بلغوا مكة ، ثم رجعوا إلىّ ، فحدثها رسول الله ﷺ حديثه . فقالت : أبشر يابن عمّ واثبت فوالذى نفسى بيده ، إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة ! لم ير منها إلا تثبيتا لقلبه ، وترويحا لنفسه ، وتأييدا لأمره . لم ير منها شيئا يحزنه ، من ردٍّ عليه ، أو

---

(١) روى الحديث البخارى فى فضائل أصحاب النبى ﷺ .
ويقول الإمام الذهبى : متفق على صحته .

(٢) قصب : أنابيب من جوهر . صخب : ضجيج . نصب : تعب .

تكذيب له ، أو سخرية به ، أو نفور منه .. بل إنها فرّجت صدره ، وأذهبت حزنه ، وأثلجت قلبه ، وهونت الأمر عليه ، وهكذا تكون الزوجة المثالية !

تلك هى خديجة التى بعث الله إليها تحيته ، فنزل بها جبريل على رسول الله ﷺ فقال له : « **أَقْرِىء خديجة السلامَ من ربها** » ، فقال رسول الله ﷺ : « **يا خديجةُ ، هذا جبريل يُقرئك السلام من ربك** »[1]، فقالت : الله السلام ، ومنه السلام ، وعلى جبريل السلام . وإنها لمنزلة ما ظفر بها أحد من السابقين الأولين والخلفاء الراشدين ، وذلك لأن موقفها فى اللحظة الأولى أعظم وأجل من جميع مواقف التأييد للدعوة فيما بعد !

إن خديجة – رضى الله عنها – كانت من نعم الله الجليلة على رسول الله ﷺ .

بقيت معه ربع قرن تحسن إليه ساعة قلقه ، وتؤازره فى أحرج أوقاته ، وتعينه على إبلاغ رسالته ، وتشاركه فى مغارم الجهاد المر ، وتواسيه بنفسها ومالها .

يقول رسول الله ﷺ : « **آمنت بى حين كفر بى الناس ، وصدّقتنى حين كذبنى الناس ، وأشركتنى فى مالها حين حرمنى الناس ، ورزقنى الله ولدها ، وحرم ولد غيرها** »[2].

وفى الصحيح عن أبى هريرة قال : « أتى جبريلُ النبىَّ ﷺ فقال : « **يا رسول الله ، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام ، أو طعام ، أو شراب ، فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ، وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب**[3].

---

(١) قال ابن عبد البر : روى من وجوه : أن النبى ﷺ قال : «ياخديجة ، جبريل يقرئك السلام» وفى بعضها : يا محمد ، اقرأ على خديجة من ربها السلام .

(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده ١١٨/٦ .

(٣) صحيح البخارى . باب تزويج النبى ﷺ خديجة وفضلها ٥٣٩/١ .

٢- سودة بنت زمعة

أم المؤمنين

هى أول من تزوج بها النبى ﷺ بعد خديجة ، وانفردت به نحوا من ثلاث سنين أو أكثر حتى دخل بعائشة[١].

كان الصحابة رضى الله عنهم يرقبون وحدة النبى ﷺ بعد خديجة ويودون لو يتزوج لعل فى الزواج ما يؤنس وحدته ! لكن من يفاتحه ؟

وتتقدم « خولة بنت حكيم » لتقوم بالمهمة ، فتفاتح الرسول ﷺ وتعرض عليه « عائشة بنت الصديق » لكنها ماتزال صغيرة .. فلتتم خطبتها ثم يكون الانتظار حتى تنضج .

لكن من يرعى شئون النبى ﷺ ، ومن يخدم بناته ومن يملأ عليه البيت ؟

إن « عائشة » لن يتم الزواج بها ا ... أ ثلاث ، فمن تكون يا تُرى تلك التى تتولى شئون النبى ﷺ ... ة بنت زمعة » من بنى عدى بن النجار .

وأذن لها الرسول ﷺ فى ...

جاءت بيت زمعة ، فدخلت ع...

– ماذا أدخل الله عليك من ...

فسألت سودة وهى لا ...

– وماذا يا خولة ؟

قالت :

أرسلنى رسول الله ﷺ ...

---

(١) الإمام الذهبى . سير أ...

قالت فى صوت مرتجف :

– وددت ! ادخلى على أبى فاذكرى له ذلك[1]. وكانت الموافقة .. وتم الزواج .

لقد كان لسودة ظروفها التى جعلت الرسول ﷺ يمد يده الرحيمة إليها يسند شيخوختها ، ويهون عليها الذى ذاقت من قسوة الحياة !!

فقد هاجرت إلى الحبشة فرارا بدينها مع زوجها ابن عمها ، ثم مات عنها مهاجراً فى الغربة . وترك أرملته من بعده قد أسلمتها محنة الاغتراب إلى محنة الترمل قبل أن تهبط « أم القرى » .

لقد تأثر الرسول ﷺ للمهاجرة المؤمنة المترملة ، فكانت موافقته على الزواج منها .

وتظل سودة راعية فى بيت زوجها رسول الله ﷺ حتى تفد عائشة رضى الله عنها على البيت النبوى ، وتعلم مكانة عائشة من قلب النبى فتجعل يومها لعائشة وتفسح لها المكان الأول فى البيت .

وتحرص جهدها على أن تتحرى مرضاة العروس الشابة وأن تسهر على راحتها وكل أملها بعد أن أحست برودة الشيخوخة أن تبقى زوجة لرسول الله ﷺ فى الدنيا والآخرة ، وألا تحرم من هذا الشرف العظيم .. حتى ولو وهبت يومها لعائشة بعد أن أحست أنها لا تريد ما يريد النساء !

وعاشت « سودة » ساهرة على رعاية البيت النبوى وقلبها عامر بالرضا والإيمان ! حتى لحق ﷺ بربه ، وتوفيت فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وقد ظلت عائشة – رضى الله عنها – تذكر لها صنيعها ، وتؤثرها بجميل الوفاء فتقول : « ما من الناس أحد أحب إلىّ من أن أكون فى مسلاخه من ...دة بنت زمعة إلا أن بها حدة »[2].

...فيت سجد ابن عباس فقيل له فى ذلك : فقال : قال رسول الله

... من تاريخ الطبرى : ١٧٦/٣ وقصة زواجها فى السمط الثمين ١٠٢

... مسلاخه : ثوبه وجلده .

ﷺ : « **إذا رأيتم آية فاسجدوا** » . وأى آية أعظم من ذهاب أزواج النبى ﷺ[1].

روت سودة عن رسول الله ﷺ خمسة أحاديث . أخرج لها منها فى الصحيحين حديث واحد[2]. وفى رواية أن البخارى روى لها حديثين[3].

يرحمها الله كانت تحب الصدقة ، وعلى جانب كبير من الخلق الرفيع .

عن عائشة – رضى الله عنها – : « أن بعض أزواج النبى ﷺ قلن : يا رسول الله ، أينا أسرع لحوقا بك ؟ قال : **أطولكن يداً** ، **فأخذن قصبة يذرعنها** » فكانت سودة أطولهن يدا ، فعلمنا بعد : أنما كان طول يدها : الصدقة ، وكانت تحب الصدقة ، وكانت أسرعنا لحوقا به » (أخرجه الشيخان والنسائى) .

ولمسلم فى أخرى : « **أسرعكن لحوقا بى أطولكن يدا** ، **قالت** : **فكن يتطاولن أيتهن أطول يدا** ، **فكانت أطولنا** : زينب ؛ **لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق** » .

(١) طبقات ابن سعد . الإصابة لابن حجر . أسد الغابة لابن الأثير .

(٢) المجتبى : لابن الجوزى .

(٣) الكمال فى معرفة الرجال للمقدسى .

٣ -
زينب بنت محمد بن عبد الله ﷺ

ماتت زينب ، ومضى على موتها خمسة عشر قرنا ، ولكنها خلفت أطيب الذكرى ، وضربت أبلغ المثل فى وفاء الزوجة ، وإخلاص المحِبّة ، وصدق الإيمان !

لقد ولدت « زينب » سنة ثلاثين من مولد النبى ﷺ .. وعندما بلغت سن الزواج طلبتها خالتُها « هالة بنت خويلد » أخت أم المؤمنين خديجة – لابنها « أبى العاص بن الربيع » . وكانت الموافقة .. وكان الرضا من الجميع !

وزُفّت زينب بنت محمد ﷺ إلى « أبى العاص بن الربيع »[1]، ومضت « خديجة » إلى الزوجين المتحابيّن تبارك لهما ، وخلعت « قلادتها » لتجعلها فى عنق زينب هديةَ عَروس !

كان ذلك قبل أن ينزل الوحى على أبيها ﷺ . ولما أشرقت الأرض بنور ربها آمنت زينب فيمن آمن ولكن أبا العاص لم يكن من السهل عليه أن يخلع دينه ! وأَحَسَّ كِلاَ الزوجين أن قوة أقوى من حبهما تحاول أن تفرق بينهما !

أما هو فقد أعلن التمرد والعصيان : « لن ينال مما بيننا يا زينب – أن تكونى على دينك ، وأثبت على دينى ! » .

وأما هى فقالت : **« قليلاً يا صاحبى ، لستُ حِلاً لك ، وأنت على ذلك الدين ، فأسْلِمْنى إلى أبى ، أو أَسْلِم معى .. لن تكون زينب لك بعد اليوم إلا أن تؤمن بما آمنت ! »** .

---

(١) ذكر ابن سعد أن أبا العاص تزوج بزينب قبل النبوة . ويقول الإمام الذهبى : وهذا بعيد ثم يقول : أسلمت زينب وهاجرت قبل إسلام زوجها بست سنين .

وأطرق الزوجان ساعة يفكران ! وأفاقا على هاتف يهتف بهما : لئن فرق الدين بين جسديهما فسوف يظل حبهما ! حتى يجمعَهما دين !

وتمر الأيام على هذا الوضع بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة ، وتسير قريش إلى بدر لحرب الرسول ﷺ ويسير فيهم « أبو العاص بن الربيع » ، لا ليُعلن إسلامه ، ولكن ليُحاربَ الرسول ﷺ فى جيش المشركين !

ويتأزّم الموقف حين يقع « أبو العاص » أسيراً فى يد المسلمين عند الرسول ﷺ بالمدينة !

وتبعث قريش فى فداء أسراها .. وتبعث « زينب » مالاً وقلادة لتفتدى أسيرَها « أبا العاص بن الربيع » !!

ويرى الرسول ﷺ « القلادة » ، فيرقّ لها رِقّةً شديدة ويقول : « **إن رأيم أن تُطلقوا لها أسيرها ، وتردوا عليها الذى لها فافعلوا** » فقالوا : نعم يا رسول الله ، فأطلقوه ، وردوا عليها الذى لها .

وهنا يأخذ الرسول ﷺ وعداً من أبى العاص بأن يُخلىَ سبيل زينب ، ويُعيدَها إليه بالمدينة[1] !

وعاد أبو العاص إلى مكة ، وفى نفسه صورة أكثر إشراقاً لهذه الزوجة البرّة الكريمة ، ولكنه عاد لا ليشكر لها ما منّت به عليه ، بل ليقول لها : « عودى إلى أبيك يا زينب » ، وفاء بما أخذ عليه رسول الله ﷺ من عهد بأن يدَعها تسير إليه ، وخنقته العَبْرة ، فما استطاع أن يَتمالك ، ولا أن يُشَيعها إلى أطراف البادية - حيث كان فى انتظارها خارج مكة زيد بن حارثة ورجل من الأنصار ! ومن أين له أن يجد فى نفسه القدرة على توديع من يحب ، وإنه ليعلم أنه الوداع الأخير ، مادام سلطان هذا الدين قائماً بين القلبين !، وكلاهما مُستمسك بدينه !

ومضى يقول لأخيه كنانة بن الربيع : « يأأخى إنك لتعلم موضعَها من نفسى ، فما أُحِبّ أن لى بها امرأةً من قريش ، وإنك لَتعلمُ أن لا طاقةَ لى بأن أفارقَها ، فاصْحَبْها عنى إلى طَرف البادية حيث ينتظر رسولا محمد ،

(١) يقول الإمام الذهبى فى سير أعلام النبلاء : روى عن عائشة بإسنادٍ واهٍ .

وارفُق بها فى السَّفَر ، وارْعَها رعايةَ الحرمات ، ولو نثرت عليها كنانتك[1] لا يرنو منها رجل حتى تبلغ ! » .

وبينما هى تستعِدّ لكى تلحق بأبيها لقِيَتْها هندٌ بنت عُتْبة ، فقالت : أىْ ابنةَ محمد ، ألم يبْلُغْنى أنك تريدين اللحوق بأبيك ؟!

فقالت زينب : ما أردت ذلك !

فقالت هند : أى ابنة عمى ، لا تفعلى .. إن كانت لك حاجة بمتاع مما يرفق بك فى سفرك ، أو بمال تبلغين به إلى أبيك ، فإن عندى حاجَتك ، فلا تتحرجى منى ؛ فإنه لا يدخل بين النساء ما يدخل بين الرجال !

قالت زينب : والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل ، ولكنى خِفْتُها ، فأنكَرْت أن أكون أريدُ ذلك ، وتجهزتُ .

ولما فرغتْ من جهازِها قدّم لها حَمُوهَا : كنانةُ بن الربيع أخو زوجها - بعيرًا فركبته ، وأخذ قوسَه وكِنانَته ، ثم خرج بها نهارًا وهى فى هودجٍ لها يقودُ بعيرَها .

ولكن هل تتركها قريش - بعد هزيمتها فى بدر - تخرج على مرأى ومسمع من الناس ؟! لا .. ثم لا !! فلقد تحدث رجال من قريش بذلك ، فخرجوا فى طلبها حتى أدركوها بذى طُوًى !! فكان أول من سبق إليها « هبّار بن الأسود بن المطّلب » ، و« نافع بن عبد القيس » ، فروّعَها « هبّار » بالرمح وهى فى « هودجها » ، وكانت زينب حاملا ، فلما رجعت طرحت ما فى بطنها[2] !!

وهنا يتصدى حموها .. أخو زوجها لهؤلاء المعتدين قائلاً : « والله لا يدنو منى رجل إلا وَضَعْتُ فيه سهما » .

فانفض الناس عنه ، وأتاه أبو سفيان فى جماعة من قريش فقال : أيها الرجل ، كفّ عنا نبلك حتى نكلمك . فكف ، فأقبل أبو سفيان ، حتى

---

(١) الكنانة : جعبة من الجلد للنبل . والمراد : لا تدخر جهدا فى حمايتها حتى آخر سهم .
(٢) فى الاستيعاب : «فدفعها أحدهما ، فسقطت على صخرة وأسقطت وأهرقت الدماء» .

اقترب منه وقال : إنك لم تُصِب .. خرجت بالمرأة على رءوس الرجال علانية من بين أظهرنا !! :

إن ذلك عن ذُلّ أصابنا عن مصيبتنا ، ونكبتنا التى كانت .. وإن ذلك ضعف منا ووهن !

لعمرى مالنا حاجة فى حَبْسها عن أبيها .. ومالنا فى ذلك من ثُؤْرة ، ولكن ارجع المرأة .

ولما هدأ الصوت خرج بها ليلا حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقدما بها على رسول الله ﷺ . وافترق الزوجان ، فلا سبيل إلى لقاء ، وأقام « أبو العاص » بمكة شريداً مبلبل الفكر جريح القلب !

وأقامت « زينب » بالمدينة معتلة البدن ، واهنة القلب ، ولولا الإيمان والتقى يشدان من عزيمتها لأعجلها الموت ، ولم تظفر بلقاء !

ومضت سنوات وسنوات ، ويخرج أبو العاص فى تجارة له إلى الشام ، وفى طريق العودة تلقاه سَرِيّة لرسول الله ﷺ فتصيب ما معه من أموال ولكنه يُفلت من أيديهم .. لقد فقد ماله ومال الناس ، ولا سبيل إلا أن يرد الأمانات إلى أهلها .. فماذا يفعل ؟!

لقد تذكر « زينب » التي بادلته الحب والوفاء .. فدخل المدينة ليلا ، وطلب منها أن تُجِيره ، وتُعينه على رد ماله فأجارته ، وأصبح الناس يسعون إلى المسجد ، وكبر رسول الله ﷺ وكبّر المسلمون معه ، وإذا صوت يهتف من وراء جدار : « أيها الناس ، إنى قد أجرتُ العاصَ بن الربيع ، فهو فى حمايتى وأمنى » وكانت زينب هى التى تهتِف !

وفرغ النبى ﷺ من صلاته فأقبل على الناس فقال : « **أيها الناس هل سمعتم ماسمعت** : **إنه يجير على المسلمين أدناهم** ! » ثم دخل على ابنته ، فحدثها وحدثته ، وأوصاها قائلاً : « **أى بُنَيّة أكرِمى مثواه ، ولا يخلص إليه ، فإنك لا تحلين له مادام مشركاً** »[1] وأكبر محمد ﷺ أن يرى فى ابنته هذا الوفاء

---

(١) ذكره الإمام الذهبى عن ابن إسحاق عن يزيد بن رومان .

وروى الإمام الذهبى عن محمد بن إبراهيم التيمى ، قال :

خرج أبو العاص إلى الشام فى عير لقريش ، فانتدب لها زيد فى سبعين ومائة راكب ؛ فلقوا العير =

لزوجها الذى فارقته لأمر الله ، وقطعت ما بينه وبينها من شهوات النفس لأمر الله ، ثم مابرحت مع كل أولئك تمنحه البر والوفاء والمعونة : بر المسلمة ، ووفاء الصديقة ، ومعونة الإنسان ! ونال من نفس النبى ﷺ ما سمع وما علم فأضمر فى نفسه رجاء إلى الله ! ثم بعث ﷺ إلى السرية الذين أصابوا مال أبى العاص ، فقال : « **إن هذا الرجل منا حيث علمتم ، وقد أصبتم له مالا ، فإن تحسنوا إليه ، وتردوا عليه ماله ، فإنا نحب ذلك ! وإن أبيتم فهو فَىْءُ الله الذى أفاء عليكم ، فأنتم أحق به** » .

قالوا : « بل نرده عليه » . وقال نفر منهم : « يا أبا العاص ، هل لك أن تُسْلم ، وتأخذ هذه الأموال ، فإنها أموال المشركين : فقال الرجل : بئس ما أبدأ به إسلامى أن أخون أمانتى ! » .

وردوا إليه ماله ، كرامة لرسول الله ﷺ وإكبارا لزينب ، وعاد الرجل إلى مكة بماله ، ومال الناس ، ونفسه تفيض بمعان شتى ، وبين عينيه صورة لا تفارقه ، فلما أدى لكل ذى مالٍ ماله وقف ثم قال : يا معشر قريش ، هل بقى لأحد منكم عندى مال ؟. قالوا : لا ، فجزاك الله خيرا ، وقد وجدناك وفيًّا كريما . قال : « فأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله . والله ما منعنى من الإسلام عنده إلا تَخَوُّفى أن يظنوا أنى إنما أردت أن آكل أموالكم ، فلما أداها الله إليكم ، وفرغت منها أسلمت » قال الشعبى : أسلمت زينب وهاجرت ، ثم أسلم بعد ذلك ، وما فرق بينهما[1].

وخرج أبو العاص من مكة إلى المدينة مهاجراً يهديه نور الإيمان واليقين ، وتلاقى الزوجان المتحابان مرة ثانية بعد فراق طويل من دونه سنوات .

ولكن الزوجة الوفية كانت قد أدت واجبها ، وفرغت من دنياها حين هَدَتِ الرجل الذى أحبته ، ووفت له بمقدار ما أحبها ، ووفَّى لها ، فما مضى

فى سنة ست ، فأخذوها ، وأسروا أناسا ، منهم أبو العاص ، فدخل على زينب سحراً ، فأجارته ، ثم سألت أباها ، أن يرد عليه متاعه . ففعل ، وأمرها ألا يقربها مادام مشركاً .

فرجع إلى مكة فأدى إلى كل ذى حق حقه ؛ ثم رجع مسلماً مهاجراً فى المحرم سنة سبع ، فرد عليه زينب بذلك النكاح الأول . (سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ١٧٦) .

(١) سير أعلام النبلاء للذهبى . وكذا قال قتادة ، وقال : ثم أنزلت «براءة» بعد فإذا أسلمت امرأة قبل زوجها فلا سبيل له عليها إلا بخطبته .

زمان بعد هذا اللقاء حتى كانت قد استوفت أنفاسها على الأرض !!

وتوفيت زينب سنة ثمان للهجرة فحزن عليها رسول الله ﷺ حزناً عظيماً . وفارقت الدنيا بعد أن خلفت أطيب الذكرى ، وضربت المثل أبلغ المثل فى وفاء الزوجة ، وإخلاص المحبّة ، وصدق الإيمان !، وليس عجيباً أن يقول فيها زوجها فى بعض أسفاره إلى الشام :

بنت الأمين جزاها الله صالحة وكل بَعْلٍ سيثنى بالذى علما !!

٤ - رقية بنت رسول الله ﷺ
زوجة عثمان

لقد ضم ركب مهاجرى الحبشة إحدى عشرة امرأة ، وهذا يعنى أن المرأة المسلمة كانت جزءًا من الدعوة والجهاد فى سبيل الله .

تخلّت عن أعراض حياتها الزائلة من مال وولد وأهل وبلد فى سبيله .

تركت وطنها الغالى ومضت إلى الحبشة حيث الأرض النّائية والغربة عن الجنس واللون والقوم فى سبيل العقيدة التى آمنت بها .

وعندما انبثق فجر الدعوة من مكة كان أول مهاجرين جديدين لَيْسا رَجُلَيْن ، ولكنهما رجل وامرأة : هذان المهاجران هما : عثمان بن عفان ، ورقية بنت محمد ﷺ لقد جاءت « رقية » إلى الوجود بعد أختها زينب ، ومن بعدهما جاءت « أم كلثوم » التى رافقتها فى حياتها بعد انتقال زينب كبراهن إلى بيت الزوجية .

وعندما قاربتا سن الزواج تقدم أبو طالب يخطبهما إلى ابنى أبى لهب ، ويشاء الله ألا يتم هذا الزواج نظرا لموقف أبى لهب من الإسلام ..

ولكنه سبحانه يسوق إليهما عثمان بن عفان فيتزوج رقية .. ويهاجر معها إلى الحبشة وتبقى أم كلثوم مع أبيها وأمها فى انتظار ما قدر لها !

يقول الإمام الذهبى : هاجرت معه إلى الحبشة الهجرتين جميعا . قال عليه السلام : « **إنهما لأول من هاجر إلى الله بعد لوط** »[1].

يقول أنس بن مالك – رضى الله عنه :

خرج عثمان بن عفان ومعه امرأته – رقية بنت رسول الله ﷺ – إلى

---

(١) سير أعلام النبلاء (ج : ٢ ص ١٧٨) .

أرض الحبشة ، فأبطأ على رسول الله ﷺ - خبرهما ، فقدمت امرأة من قريش فقالت :

« يا محمد ، قد رأيت خَتَنك - أى صهرك - ومعه امرأته » قال : على أى حال رأيتهما ؟

قالت : رأيته قد حمل امرأته على حمار من هذه الدابة الضعيفة التى تدب فى المشى - يسوقها » .

فقال رسول الله - ﷺ -

« **صحبهما الله . إن عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام** »[1].

وعادت « رقية » مع « عثمان » إلى مكة ثانية لتجد أمها قد لحقت بالرفيق الأعلى !

وتحول المسلمون جميعا من مكة إلى المدينة فصحبتهم رقية مع زوجها عثمان لتصبح ذات الهجرتين .

إن هجرة الحبشة كان الدافع إليها مخافة الفتنة ، والفرار إلى الله بدينهم ، ولم يكن الدافع إليها هو القيام بنشر الدين الإسلامى ، لأن بلاد الحبشة فى ذلك الوقت كانت تدين بالمسيحية ، ولن تقبل المسيحية هناك أن يزاحمها الدين الجديد حتى ولو كان على رأس الحبشة ملك لا يُظْلَم عنده أحد .

والهجرة إلى الحبشة حققت جزءا من التحول والانطلاق ، لأن النتيجة التى كان يرجوها المسلمون المهاجرون من هجرتهم إلى الحبشة هى أن يفروا بدينهم إلى أرض يطمئنون عليها ، ويستقرون بها ، ولا يتعرضون فيها لبطش ولا لأذى حتى إذا قدر لإخوانهم فى مكة أن يفنوا عن آخرهم ، حملوا هم بعدهم لواء الدعوة !! أما الهجرة إلى المدينة ، فقد كان الفرار بالدين أحد الأسباب لكن ليس الدافع الأساسى ، فالدافع الأساسى هو التحول والانطلاق حيث يتيسر للمهاجرين أن يؤسسوا فى مهاجرهم وطنا لهم . فقد كان الإسلام طوال ثلاثة عشر عاما دينا بلا وطن وشعبا بلا دولة[2].

---

(١) ذكره الإمام الذهبى مختصراً .

(٢) الهجرة بداية مراحل التحول والانطلاق . محمد عبد الله عنان .

لقد كانت الهجرة هى التى تمثل المرحلة الثانية من مراحل الدعوة هى مرحلة نضال من أدق مراحل النضال أيضا ، وإذا كانت هذه المرحلة النضالية قد اتسمت بالمغامرة ، فإن المغامرة ليست إلا لونا من النضال ، بل هى أسمى ألوان النضال البطولى ..

ولقد توجت هذه المرحلة النضالية بالنصر .. انتصر الإيمان على القوة ، وانتصرت الروح على المادة ، وانتصر الحق على الباطل ..

إن عظمة النصر تجل عن الوصف والتقدير .. إنها ..

تحرر من الخوف وانطلاق نحو الأمن . تحرر من العبودية وانطلاق نحو الحرية . تحرر من الذلة وانطلاق نحو العزة . تحرر من الضيق وانطلاق نحو الفرج . تحرر من الشلل وانطلاق نحو الحيوية . تحرر من الضعف وانطلاق نحو القوة . تحرر من قيود الكلمة وانطلاق نحو حرية الكلمة .

وتلقى رقية ربها بعد أن وقعت فريسة الحمى .. ويتقدم عثمان إلى رسول الله ﷺ فيزوجه « أم كلثوم » .

رحم الله رقية ذات الهجرتين ، وعثمان ذا النورين وجزاهما عن جهادهما وصبرهما أوفى الجزاء .

٨ - أم حكيم بنت الحارث المخزومية

زوج عكرمة بن أبى جهل

صورة من صور الإيمان بالله والرسول .. ورمز للتضحية والفداء فى سبيل الله .. إنها مجاهدة جليلة !

قبل أن تُسْلِم خرجت مع زوجها لتشهد غزوة أحد .. لقد كان زوجها عكرمة بن أبى جهل .. وكان عليها أن تقف فى صفوف المشركين !

لكنها أسلمت يوم « الفتح » وحدها دون زوجها ! أما زوجها « عكرمة ابن أبى جهل» فقد طلبت له الأمان ! فأمّنه المسلمون ! لكنه كان قد هرب !

فخرجت فى طلبه تبحث عنه وقد هرب إلى اليمن فأدركته فى ساحل من سواحل تِهامة وقد ركب البحر فجعلت تصيح إليه وتقول :

يابن عمّ ، جئتك من أوْصَل الناس ، وأبرّ الناس ، وخير الناس !

لا تُهلك نفسك ! وقد استأمنتُ لك فآمَنَك ! فقال : أنت فعلتِ ذلك ؟

قالت : نعم أنا كلمتُه فآمنك !

فرجع معها ، فقدم عكرمة ، فانتهى إلى باب رسول الله ﷺ وزوجته معه ، فاستأذنت على رسول الله ﷺ فدخلت .

فأخبر عمر رسول الله ﷺ بقدوم عكرمة فأسلم . وكانت « أم حكيم » ممن وقفن حول الرسول ﷺ فى خدمة الدعوة والدفاع عنها فقد شهدت « وقعة اليرموك »(١) وأبلت فيها بلاء حسنا ، فقاتلت فيها أشد القتال فى

---

(١) وادٍ بناحية الشام .

موقعة « مرج الصفر »[1] .

لقد خرجت بعمود الفسطاط فقتلت سبعة من الروم . أرأيت ماذا تفعل المرأة المسلمة لزوجها ولدينها*؟!

---

(١) بنواحى دمشق .

(*) لمزيد من التفاصيل يرجع إلى المراجع الآتية :

١ - تاريخ الطبرى
٢ - أسد الغابة لابن الأثير .
٣ - الموطأ
٤ - الاستيعاب لابن عبد البر .
٥ - تاريخ ابن عساكر
٦ - طبقات ابن سعد .
٧ - سيرة ابن هشام
٨ - الإصابة لابن حجر .
٩ - فتوح البلدان للبلاذرى
١٠ - الوافى بالوفيات للصفدى .

٦ ـ خولة بنت مالك بن ثعلبة

ذات فصاحة وبلاغة ..

كانت على صلةٍ بالله .. لم تفقد إيمانها به فى أحلك اللحظات ! بل راحت تحتكم إلى الله ورسوله !

قصتها مع زوجها أضعها بين يدى الأزواج والزوجات حين يكون خلاف وجدال ، ومراجعة وخصام .

« قالت[1]: فِىّ – والله – وفى أوس بن الصامت أنزل الله – عز وجَلّ – صدر سورة المجادلة ؛ قالت :

كنتُ عنده ، وكان شيخاً كبيرا قد ساء خُلُقُه ، وضَجر ، قالت : فدخل علىّ يوما ، فراجعته بشىء ، فغضب ، وقال : أنتِ علىّ كظَهرِ أُمّى ، ثم خرج فجلس فى نادى قومه ساعةً ثم دخل علىّ فإذا هو يريدنى .

قالت : فقلت : كلا والذى نفسى بيده لا تَخْلُص إلىّ ، وقد قلتَ ما قلت ، حتى يحكمَ اللهُ ورسوله فينا .

قالت : فواثبنى ، فامتنعت منه ، فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف ، فألقيته عنى !

ثم خرجت حتى جئت رسول الله ﷺ فجلست بين يديه ، فذكرت له ما لقيت منه . .

فجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خُلقِه ، قالت :

---

(١) الإصابة : ج ٨ ص ٦١٨ – ٦٢٠ .

فجعل رسول الله ﷺ يقول : يا خُويلة ؛ « **ابن عمك شيخ كبير فاتقى الله** » .

قالت : فوالله ما برحت حتى نزل فىّ القرآن ، فتغَشّى رسولَ الله ﷺ ما كان يتغشاه ، ثم سُرّىَ عنه .

فقال : **يا خُوَيلة ؟ قد أنزل اللهُ فيك وفى صاحبك . ثم قرأ علىَّ : ﴿ قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير .. ﴾ إلى قوله : ﴿ وللكافرين عذاب أليم ﴾**
[المجادلة : ١ - ٤]

قالت : فقال رسول الله ﷺ : **مُرِيه فليعتق رقَبة** . قالت : فقلت : والله يا رسولَ الله ، ما عنده ما يعتق .

قال : **فليَصُم شهرين متتابعين** .

قالت : فقلت : والله إنه لشيخ كبير ما به من طاقة .

قال : **فليطعم ستين مسكيناً وَسقًا**[١] **من تمر** .

قالت : فقلت : يا رسول الله ، ماذاك عنده .

قالت : فقال رسول الله ﷺ : « **فإنا سنعينك بعِذْق من تمر** » .

قالت : فقلت : يا رسولَ الله ، وأنا سأعينه بعِذْق آخر .

فقال : **قد أصَبْتِ وأحسنتِ ، فاذهبى فتصدق به عنه ، ثم استوصى بابن عمك خيراً** .

قالت : ففعلت . » .

هذه هى خولة . فى قصتها دروس لالتئام الحياة الزوجية ، والإسهام فى رأب الصّدْع ، ورعاية القرابة ، وكبر السن بين الأزواج والزوجات .

روى أن عمر بن الخطاب مر بها فى زمن خلافته ، وهو على حمار ، والناس حوله ، فاستوقفته ، ووعظته فقيل له :

---

(١) الوَسق : حمل بعير . والوَسْق : ستون صاعاً بصاع النبى ﷺ .

أتقف لهذه العجوز هذا الموقف ؟

فقال : أتدرون من هذه العجوز ؟

هى خولة بنت ثعلبة ، سمع الله قولها من فوق سبع سموات ، أيسمع رب العالمين قولها ، ولا يسمعه عمر[1]؟!

لم تلجأ خولة إلى العُنف ، ولم تفكر فى الجريمة فإن ذلك ليس من خلق الإسلام ، بل راحت تلتمس الحل عند الله ورسوله وتشكو أمرها إلى الله الذى خلقها فهو القادر على أن يفك كربها ، ويجعل من بعد عُسْرٍ يسراً .

وإن شئت أن تسمعيها وهى تعرض شكواها على رسول الله ﷺ فتعالَىْ إلى ما أخرجه ابن ماجه والحاكم وصححه ، والبيهقى وغيرهم عن عائشة رضى الله عنها قالت :

« تبارك الذى وَسِعَ سمعه كلّ شىء ، إنى لأسمع كلام خولةَ بنتِ ثعلبة ، ويَخْفَى علىَّ بعضُه ، وهى تشتكى زوجها إلى رسول الله ﷺ وهى تقول :

يا رسولَ الله ، أكل شبابى ، ونَثَرْتُ له بطنى ، حتى إذا كبر سِنّى ، وانقطع ولدى ، ظاهَرَ مِنّى ! اللّهُمّ إنى أشكو إليك !!

قالت : فما برحت حتى نزل جبريل - عليه السلام - بهؤلاء الآيات[2]. وقد أوصى النبى ﷺ بالنساء خيرا ، وكان المثل الأعلى فى معاملة زوجاته ، يقول فى ذلك[3]:

« ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً من زوجة صالحة ، إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرّته ، وإن أقسم عليها أبرّته ، وإن غاب عنها حفظته فى ماله وعرضه » .

ويقول أيضاً :

« أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلقًا ، وخياركم خياركم لنسائهم » .

ويقول ﷺ فى آخر خطبة له :

---

(١) حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله فى النسوة .

(٢) رجالهُ ثقات .

(٣) كنز العمال (٩/٢٥٨-٢٦١) .

« **استوصوا بالنساء خيرا** »[1] وللرسول ﷺ أحاديث شتى في الوصاية بالزوجات ، والحث على إحسان معاملتهن . وقد أبطل الإسلام الظّهار .

واعتبره الإسلام منكراً من القول وزوراً يعاقب من ينطق به على سفهه عقاباً رادعا له عن العودة إلى مثله ويزجر غيره عن أن يفعل فعله .

(١) عن عمرو بن الأحوص في حديث طويل في ذكر حجة الوداع عن النبي ﷺ قال : «ألا واستوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوانٍ عندكم ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع ، واضربوهن ضربا غير مبرح ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، ألا وإن لكم على نسائكم حقا ، ولنسائكم عليكم حقا ، فأما حقكم على نسائكم : فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذنّ في بيوتكم لمن تكرهون . ألا وإن حقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن» . أخرجه الترمذي وصححه . ومعنى عوان : أسيرات .

ثالثاً

المرأة المسلمة بنتًا

- فاطمة بنت محمد ﷺ
- أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنه
- درة بنت أبى لهب بن عبد المطلب
- أم كلثوم بنت عقبة بن معيط
- الخنساء بنت خذام
- بريرة مولاة عائشة

بنات مثاليات

بنات مثاليات

يحدثنا التاريخ عن بنات مثاليات كان لهن وجودهن وشأنهن ورأيهن في أسرهن !

لم تكن البنت عنصرا سلبياً خاملا ، وإنما كانت عنصرا إيجابيا ناشطا قادرا على المشاركة في تحمل المسئولية .

وعلى رأسهن « فاطمة الزهراء » ، بنت النبي ﷺ فقد كانت « أم أبيها » وريحانته ، ومؤنسته في عطف وحب !

ومن يقرأ سيرتها يدرك إلى أي مدىً قامت بدور أمها « خديجة بنت خويلد » بعد أن لقيت ربها .. ومن يتابع خطوات البنت المسلمة على طريق الهداية والرشاد يجد أنها كانت صاحبة الرأى فى أمر دينها يوم أن أشرقت شمس الإسلام في مكة المكرمة « أم القرى » وراح الرسول ﷺ ينذر « أم القرى » ومن حَوْلَهَا ويبشرهم بالدين الجديد !

وهذه نماذج لبنات مثاليات :

١ ـ فاطمة بنت النبى ﷺ

« أم أبيها » فهى كريمة الطرفين بنت سيد الخلق رسول الله أبى القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم .

البتول : المنقطعة للعبادة ، أو التى انقطع نظيرها فضلا وعلما وخلقا وأدبا وحسبا ونسبا .

كانت أصغر من زينب زوجة العاص بن الربيع ، ومن رقية زوجة عثمان ابن عفان .

ولقد كانت أَحَبّ أهل النبى إليه فقال : « **فاطمة بضعة منى يريبنى مارابها ، ويؤذينى ما آذاها** »[١].

إنها سيدة نساء العالمين ، وأفضل نساء أهل الجنة أجمعين وابنة حبيب رب العالمين وأم الحسن والحسين . قال الزبير بن بكار : انقرض عقب زينب ، وصح أن الرسول ﷺ جلل فاطمة وزوجها وابنيهما بكساء وقال : « **اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً** »[٢].

وعن أبى هريرة قال : جاءت فاطمة إلى النبى ﷺ تسأله خادما ، فقال لها : قولى : « **اللهم رب السموات ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شىء منزل التوراة والإنجيل والفرقان ، فالق الحب والنوى ، أعوذ بك من شر كل شىء أنت آخذ بناصيته ، أنت الأول فليس قبلك شىء ، وأنت الآخر ، فليس بعدك شىء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شىء ، وأنت الباطن**

---

(١) ابن عبد البر فى الاستيعاب .

(٢) سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٨٨ .

فليس دونك شىء ، اقض عنى الدين ، واغننى من الفقر » .

[أخرجه الترمذىّ]

هذه فاطمة بنت النبى ﷺ تخدم نفسها بنفسها وتتحمل أعباء بيتها .

وذكر الطبرانى أنه لما انصرف المشركون فى أحد خرج نساء الصحابة لتقديم العون لهم ، فكانت فاطمة فيمن خرج ، فلما لقيت النبى ﷺ اعتنقته ، وجعلت تغسل جراحاتِه بالماء ، فيزداد الدم ، فلما رأت ذلك أخذت شيئاً من حصير فأحرقته بالنار ، وكمدته به حتى لصق الجرح ، فاستمسك الدم »[1].

وفى معترك الأحداث التى تحياها أمتنا يتجلى دور البنت المسلمة فيها ، لتكون الأسوة الطيبة لفتاة اليوم المسلمة .

إن سيدة نساء أهل الجنة فاطمة الزهراء بنت الرسول القائد عليه الصلاة والسلام ، لم تكن أثناء المعركة فى سرادق ضخم ، بل كانت تعمل بين طعنات الرماح وضربات السيوف ، وتساقط النبال كالمطر على المسلمين لإيصال الغذاء والدواء والسّقاء للمقاتلين .

وهذه صورة أخرى لابنة خير الخلق أجمعين أهديها لعرائس اليوم اللاتى يحملن الأزواج مالا يطاق !!

قال على - رضى الله عنه - :

لقد تزوجت فاطمة ومالى ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل ، ونضعه على الناضح بالنهار . مالى ولها خادم غيرها !

ولما زوّجها رسول الله ﷺ أرسل بى معها بخميلة ووسادة أدم حشوها ليف ورَحاءين ، وسقاء وجرتين ، فجرّت بالرحاء حتى أثّرت فى يدها . واستقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها . وقمّت البيت حتى اغبرّت ثيابها . وأوقدت تحت القدر حتى دنست ثيابها[2].

هذه هى الزهراء أم حفيدى الرسول : الحسن والحسين !

---

(١) سمط النجوم العوالى : ج ٢/٨٨ [أخرجه الشيخان والترمذى] .

(٢) ابن الجوزى - أحكام النساء . والناضح البعير الذى يستقى عليه . والأدم : الجلد .

لقد كانت من حوله .. فلا عجب أن تركت أجمل الأثر فى قلبه الحنون .

وستظل الدنيا تذكر فاطمة « أم أبيها محمد » البتول .. الزهراء .. الطاهرة .. المتعبدة .. الزاهدة التى كلما قرصها الجوع سجدت .. وكلما هدها التعب ذكرت ، ويحدثنا الإمام مسلم عن فضائلها فيروى عن عائشة رضى الله عنها قالت :

« كُنّ أزواجُ النبى ﷺ عنده ، لم يغادر منهن واحدة ، فأقبلت فاطمة – رضى الله عنها – تمشى ، ما تخطىءُ مِشيتُها من مِشية رسول الله ﷺ شيئا ، فلما رآها رحّب بها فقال : « مرحباً بابنتى » ، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ، ثم سارَّها ، فبكت بكاءً شديداً ، فلما رأى جزَعها سارّها الثانية ، فضحكت ، فقلت لها : خصّك رسول الله ﷺ من بين نسائه بالسِّرار ، ثم أنت تبكين ؟!

فلما قام رسول الله ﷺ ، سألتها : ما قال لك رسول الله ﷺ ؟! قالت : ما كنت أفشى على رسول الله ﷺ سره .

قالت : فلما توفى رسول الله ﷺ قلت لها :

عزمت عليك بمالى عليك من الحق لَمَا حَدَّثِتِنِى ما قال لك رسول الله ﷺ ، فقالت : أما الآن فنعم .

أمّا حين سارّنى فى المرة الأولى ، فأخبرنى أن جبريل كان يعارضه القرآن فى كل سنة مرة ، وإنه عارضه الآن مرتين ، وإنى لا أُرى الأجَل إلا قد اقترب !؛ فاتقى الله ، واصبِرى !؛ فإنه نعم السّلَفُ أنا لك .

قالت : فبكيت بكائى الذى رأيت .

فلما رأى جزعى ، سارّنى الثانية فقال : « **يا فاطمة ، أما ترضين أن تكونى سيدة نساء المؤمنين ، أو سيدة نساء هذه الأمة** » ؟!

قالت : فضحكت ضحكى الذى رأيت .

هذه هى فاطمة الزهراء عاشت على قدرها وشرفها عيشة ضنك ..

فقد جرّتْ بالرّحى حتى أثّرت فى يدها !

واستقت بالقربة حتى أثرت فى نحرها !

وكنست البيت حتى اغبرّت ثيابها !

وقد كفاها علىّ الخدمة خارجا ، فقال لأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم :

اكفى بنت رسول الله ﷺ الخدمة خارجاً ، وسقاية الماء والحاج ، وتكفيك العمل فى البيت : العجن ، والخبز ، والطحن[1].

ولما علم زوجها علىّ أن النبى ﷺ قد جاءه خدم ، قال لفاطمة : لو أتيت أباك فسألتيه خادماً !

فأتته فقال لها النبى ﷺ : « **ما جاء بك يا بنية ؟!** » .

قالت : جئت لأسلمَ عليك ، واستحييت أن تسأله ، ورجعت ، فأتاها رسول الله ﷺ من الغد ، فقال : « **ما كانت حاجتك ؟** » فسكتت !

فقال علىّ : أنا أحدثك يا رسولَ الله ، جرّت الرحى حتى أثرت فى يدها ، وحملت القربة حتى أثرت فى نحرها ، فلما أن جاءك الخدم ، أمرتها أن تأتيك فتستخدمها خادمًا تقيها حَرّ ما هى فيه !

فقال النبى ﷺ : « **والله لا أعطيكما ، وأدعَ أهلَ الصُّفَّة تطوى بطونهم ، لا أجد ما أنفق عليهم ، ولكنى أبيعهم ، وأنفق عليهم أثمانهم** » .

فرجعا ، فأتاهما النبى ﷺ وقد دخلا فى قطيفتهما ، إذا غطيا رءوسهما تكشفت أقدامهما ، وإذا غطيا أقدامهما تكشفت رءوسهما ، فثارا .

فقال : « **مكانكما . ألا أخبركما بخير مما سألتمانى ؟!** » فقالا : بلى .

فقال : « **كلمات علمنيهن جبريل : تسبحان فى دبر كل صلاة عشرا ، وتحمدان عشرا ، وتكبران عشرا ، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين ، واحمدا ثلاثا وثلاثين ، وكبرا أربعا وثلاثين** » .

وتعطينا المثل فى تربية ابنيها :

لقد كانت ترقص ولدها الحسين وتقول :

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبى برواية الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبى البخترى قال : قال على لأمه : اكفِ » .

وتعطينا المثل عند الوفاة ..

فعند وفاة والدها .. وعندما ثقل النبى ﷺ وجعل الموت يتغشاه قالت فاطمة : واكرب أبتاه !

فقال لها النبى ﷺ : « **ليس على أبيك كرب بعد اليوم** » .

فلما توفى قالت : يا أبتاه ، أجاب ربًّا دعاه .. يا أبتاه فى جنة الفردوس مأواه .. يا أبتاه إلى جبريل ننعاه .

لقد روت عن النبى ﷺ ثمانية عشر حديثاً ، أخرج لها منها فى الصحيحين حديث واحد متفق عليه فى مسند عائشة وروى لها الترمذى وابن ماجه وأبو داود .

ويقول ابن الجوزى ، ولا نعلم أحدا من بنات رسول الله ﷺ أسند عنه غير فاطمة .

وشكت فاطمة إلى أسماء بنت عميس نحول جسمها ، وقالت أتستطيعين أن توارينى بشىء ؟!

قالت : إنى رأيت الحبشة يعملون السرير للمرأة ، ويشدون النعش بقوائم السرير ، فأمرتهم بذلك ، وعمل لها نعش قبل وفاتها .

فنظرت ، فقالت : سترتمونى ستركم الله[1]!

قال ابن عبد البر : هى أول من غطى نعشها فى الإسلام .

وغسلها على وأسماء ، ولم تسمح أسماء لأحد بالدخول عليها .

ووقف على عند قبرها فقال :

لكل اجتماع من خليلين فُرقةٌ وكل الذى دون الممات قليل
وإن افتقادى واحداً بعد واحدٍ دليلٌ على أن لا يدوم خليل

رضى الله عنها .. لقد كانت ملء السمع .. ومِلء العين .. ومِلء القلب ..

---

(١) أورده الإمام الذهبى فى سير أعلام النبلاء بنحوه عن قتيبة بن سعيد .. عن أم جعفر .

أم أبيها .. وأوثق الناس صلة به ، وأشفقهم عليه .. وأعيد عليك هذا الموقف ..

عندما جُرِحَ ﷺ بأحد خرجت مع نساء من المدينة تستقبله لتطمئن عليه ، فلما رأت جراحه احتضنته ، وعانقته ، وصارت تمسح الدم عنه ، ثم أخذت ماء وغسلت وجهه !

ما أروعه من موقف خفق فيه قلب محمد ﷺ بحب ابنته وحُنُوّه عليها !

وكأنى بالزهراء – عليها السلام – يترقرق الدمع من مآقيها ، ويخفق قلبها بالحب والحنان !

وبعد .. فهذه هى « الزهراء » بنت النبى .. بنت القائد .. تضرب المثل .. وتخرج هى وأربع عشرة امرأة منهم « أم سليم بنت ملحان » و« عائشة أم المؤمنين » – رضى الله عنهما –.. تحمل الماء فى قربة .. والزاد على ظهرها .. تطعم المؤمنين المحاربين وتسقيهم !

٦ - أسماء بنت أبي بكر الصديق

مهاجرة جليلة ..

وسيدة كبيرة بعقلها ، وعزة نفسها ، وقوة إرادتها ولدت سنة ٢٧ قبل الهجرة .

وهى أكبر سنا من أختها لأبيها « عائشة » أم المؤمنين بعشر سنين .

وهى شقيقة عبد الله بن أبى بكر .

دُعيت بذات النطاقين ؛ لأنها أخذت نطاقها فشقته شطرين فجعلت واحدا لسُفْرة رسول الله ﷺ والآخر عصاماً لِقربته ليلة خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق إلى الغار .

وكان أهل الشام يُعَيِّرون ابن الزبير بذات النطاقين يوم كانوا يقاتلونه !

فقالت لابنها عبد الله : عَيَّروكَ ؟!

فقال : نعم .

قالت : فهو والله حق !

وقالت أسماء لما قابَلتِ الحجاجَ : وكيف تُعيِّرُ عبد الله بذات النطاقين ؟!

أجَلْ .. قد كان لى نطاق لابد للنساء منه، ونطاق أغطى به طعام رسول الله ﷺ .

لقد أسلمت قديما بمكة بعد إسلام سبعة عشر إنسانا ، وبايعت النبى ﷺ ، وآمنت به إيماناً قوياً .

حســن إســلامها :

فمن حسن إسلامها : أن « قتيلة بنت عبد العزى » قدمت على ابنتها أسماء بنت أبي بكر الصديق – وكان أبو بكر طلقها فى الجاهلية – بهدايا زبيب وسمن وقرط ، فأبت أن تقبل هديتها أو تدخل بيتها !

فأرسلت إلى عائشة : سلي رسول الله ﷺ ..؟

فقالت : لِتَدْخُل بيتها ، ولْتقبل هديتَها !

حســن تصــرفـها !

واحتمل أبو بكر – رضى الله عنه – ماله كله لما خرج رسول الله ﷺ مهاجرا ، وقدره خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف فانطلق بما معه !

ثم دخل جدها « أبو قحافة » على أسماء – وقد ذهب بصره – فقال : والله إنى لأراه قد فجعكم بماله كما فجعكم بنفسه !

فقالت له : كلا يا جدى ! إنه قد ترك لنا خيرا كثيراً ، فأخذت أحجاراً فوضعتها فى كُوَّة البيت الذى كان أبوها يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت بيده ، فقالت : ضع يدَك على هذا المال .. فوضع يده عليه .. فقال : لا بأس إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفى هذا بلاغ لكم .

والحقيقة أنّ أبا بكر لم يترك لعياله شيئا ولكنها أرادت أن تسكن روع ذلك الشيخ .

تزوجها الزبير بن العوام ، وماله فى الأرض مال ولا مملوك ولا أى شيء غير فرسه ! فكانت تعلف فرسه ، وتكفيه مئونته ، وتسوسه ، وتدق النوى لناضحه[1].. وتسقيه الماء .. وتعجن ..

وكان الزبير شديداً عليها ، فأتت أباها وشكت ذلك إليه ! فقال لها : يا بنية ، اصبرى ؛ فإن المرأة إذا كان زوج صالح ثم مات عنها ، فلم تزوج بعده جمع بينهما فى الجنة .

وجاءت أسماءُ النبىَّ ﷺ فقالت : يا رسول الله : ليس فى بيتى شيء

(١) البعير الذى يقوم بجلب الماء . أو الفرس .

إلا ما أدخل علىّ الزبير . فهل علىّ جناح فى أن أرضخ مما يدخل علىّ به ؟

فقال : « **ارضخي ما استطعت ، ولا تُوكي ، فيوكَى عليك** »[1].

فكانت امرأة سَخية النفس . وعن عبد الله بن الزبير – رضى الله عنه – قال : ما رأيت امرأتين قط أجود من عائشة وأسماء ، وجودهما مختلف : أما عائشة ، فكانت تجمع الشيء حتى إذا اجتمع عندها قسمت . وأما أسماء فكانت لا تمسك شيئا لغد .

وشهدت أسماء وقعة اليرموك مع زوجها الزبير وأبلت فيها بلاء حسنا ، واتخذت خنجراً زَمَن سعيد بن العاص فى الفتنة فوضعته تحت مرفقها . فقيل لها : ما تصنعين بهذا ؟

قالت : إن دخل علىّ لصٌّ بعجت بطنه !

وفرض عمر بن الخطاب لأسماء ألف درهم !

وروت أسماء عن النبى ﷺ ٥٨ حديثاً[2] وفى رواية ٥٦ حديثاً اتفق البخارى ومسلم على أربعة عشر حديثاً وانفرد البخارى بأربعة ، وانفرد مسلم بمثلها[3].

وفى رواية أخرج لأسماء من الأحاديث فى الصحيحين اثنان وعشرون المتفق عليه منها ثلاثة عشر ، وللبخارى خمسة ، ولمسلم أربعة[4].

شاعريتها وثورتها :

وكانت أسماء شاعرة ثائرة ذات منطق وبيان فقالت فى زوجها الزبير لما قتله عمرو بن جرموز المجاشعى بوادى السباع[5]، وهو منصرف من وقعة الجمل :

غَدَرَ ابن جرموز بفارس بهمة يوم الهياج وكان غير مُعَرّد

---

(١) ارضخي : أعطي وتصدق . لا تُوكِي : لا تُغلِقي ولا تمنعي ، فيُمنَع عنك . والحديث ذكره ابن الأثير بلفظ : «أعطي ولا توكي ...» .

(٢) مطالع الأنوار للكازرونى .

(٣) الكمال فى معرفة الرجال للحافظ المقدسى .

(٤) المجتنى لابن الجوزى .

(٥) وادى السباع : بينه وبين البصرة خمسة أميال .

يا عمرو لو نبهته لوجدته لا طائشا رعن الجنان ولا اليد
ثكلتك أمك إن قتلت لمسلما حلت عليك عقوبة المتعمد[1]

جودها وكرمها :

وكانت أسماء ذات جود وكرم لا تدخر شيئاً لغد ، فكانت تمرض المرضة فتعتق فيها كل مملوك لها .

مضاء عزيمتها وعزة نفسها وشجاعتها :

تنبئنا كلماتها كلها لابنها عن تلك المعانى النبيلة .. فلقد دخل عليها ابنها عبد الله وهي عمياء قد بلغت مائة سنة وقال لها :

يا أماه ، ما ترين ؟!

قد خذلنى الناس ، وخذلنى أهل بيتى ! فقالت : لا يلْعَبَنّ بك صبيان بنى أمية .. عش كريما ومُت كريماً !

والله إنى لأرجو أن يكون عزائىَ فيك حسناً ! فخرج فقاتل حتى قتل !

وقيل : إن الحجاج حلف ألا يُنزله من تلك الخشبة حتى تشفع فيه أُمُّه فبقى سنة ثم مرت تحته أمه فقالت : أما آن لهذا أن ينزل !

وذكروا أن الحجاج قال لأسماء بعد قتل عبد الله : كيف رأيتنى صنعت بابنك ؟

فقالت : أفسدت عليه دنياه .. وأفسد عليك آخرتك !

وتوفيت أسماء بمكة ولها مائة سنة لم يسقط لها سن ، ولم يُنْكَر لها عقل[2]!

ويسجل كاتبنا مصطفى لطفي المنفلوطي مادار بين أسماء وعبد الله فى قصيدة تعد لوحة فنية رائعة قائلا :

إن أسماءَ فى الوَرَى خيرُ أنثى صنعت فى الوداع خيرَ صنيعِ

---

(١) قيل : إن هذه الأبيات لعاتكة بنت زيد زوج الزبير .

(٢) مصادر الترجمة : طبقات ابن سعد – تاريخ الطبرى – الإصابة – سيرة ابن هشام .

جاءها ابن الزبير يسحبُ درعا　　تحت درع منسوجة من نجيع
قال : يأم قد عييت بأمرى　　بين أسر مُرٍّ وبين قتل فظيع
خانني الصحبُ والزمان فمالى　　صاحبٌ غير سيفى المطبوع
وأرى نجمى الذى لاح قبلاً　　غابَ عنى ولم يعد لطلوع
بذل القومُ لىَ الأمانَ فمالى　　غيره إن قبلته من شفيع
فأجابت والجفن قفر كأن لم　　يك من قبل موطنا للدموع
واستحالت تلك الدموع بخاراً　　صاعداً من فؤادها المصدوع
لا تُسَلّم إلا الحياةَ وإلا　　هيكلا شأنه وشأن الجذوع
إن موتًا فى ساحة الموت خير　　لك من عيش ذِلَّةٍ وخضوعِ
إن يكن قد أضاعك الناس فاصبر　　وتثبّت فالله غير مُضيع
مت همامًا كما حييت همامًا　　واحْىَ فى ذكرك المجيد الرفيع
ليس بين الحياة والموت إلا　　كرة فى سوادِ تلك الجموع

وسوف تظل كلمات أسماء لابنها - حين قال لها : « يا أماه إنى أخاف إن قتلنى أهل الشام أن يمثلوا بى ويصلبونى » - نوراً على طريق الحياة الكريمة .

لقد أجابته فى كلمة صامدة كالطود ، قوية كنفسها ، كبيرة كإيمانها تلك الكلمة التى وضعت نهاية المعركة : « يابنى ، إن الشاة لا يضيرها سلخها بعد ذبحها » .

ويختم المنفلوطى قصيدته بقوله :

وأتى أمّه النعِىّ فجادت　　بعد لأى بدمعها الممنوع

ونال عبد الله الشهادة وانتصرت القيم الشماء للأم المثالية ..

وسجلت القصة لهما أنصع الصفحات فى تاريخ الخالدين .

٣ ـ درة بنت أبى لهب بن عبد المطلب

ابنة عم النبى ﷺ

أسلمت وهاجرت وحسن إسلامها .

يقول الإمام الذهبى :

لها حديث واحد فى المسند من رواية ابن عمها الحارث بن نوفل(١).

ويذكر ابن حجر فى الإصابة أن درة بنت أبى لهب لما قدمت المدينة مهاجرة نزلت فى دار رافع بن المعلى فقال لها نسوة من بنى زريق :

أنت ابنة أبى لهب الذى يقول الله له : ﴿ **تَبَّتْ يدا أبى لهب** ﴾ [المسد : ١] فما تغنى عنك هجرتك ؟! فأتت النبى ﷺ فذكرت ذلك له ؛ فقال : « **اجلسى** » ، ثم صلى بالناس الظهر ، وجلس على المنبر ساعة ، ثم قال : « **أيها الناس ، مالى أوذَى فى أهلى ؟! فوالله إن شفاعتى لتنال قرابتى حتى أن صداء وحكما وسلهبا لتنالها يوم القيامة** »(٢).

وأخرج الدارقطنى فى كتاب الإخوة ، وابن عدى فى الكامل ، وابن منده عن درة بنت أبى لهب قالت : قال النبى ﷺ : « **لا يؤذى حىٌّ بميت** » .

وبهذا الأدب النبوى ينبغى أن نتحلى ، ولا نتخلى عنه أبدا مهما كانت عداوتنا للأموات !

---

(١) الطبقات (٨ : ٣٤) . الاستيعاب (٤ : ٢٩٠) الإصابة (٧ : ٦٣٤) أسد الغابة (٥ : ٤٤٩) .

(٢) ذكره ابن حجر فى الإصابة بقوله : وروى ابن عاصم ، والطبرانى وابن منده من طريق عبد [illegible]ن بن بشر ، وهو ضعيف ، عن محمد بن إسحق ، عن نافع وزيد بن أسلم ، عن ابن عمر ، عن سعيد المقبرى وابن المنكدر عن أبى هريرة ، وعن عمار بن ياسر قالوا : قدمت درة إلى آخر [illegible]ث .. ٣١ الإصابة ج ٧ ص ٦٣٤

٤ ـ أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط

حياتها مثل من أمثلة التضحية والجهاد فى سبيل الله ..

يقول ابن سعد فى طبقاته :

هى أول من هاجر إلى المدينة بعد هجرة النبى ﷺ وأصحابه . ولا نعلم قرشيّة خرجت من بين أبويها مسلمة مهاجرة إلى الله ورسوله إلا « أم كلثوم » .

خرجت من مكة وحدها ، وصاحبت رجلا من خُزاعة ، حتى قدمت فى المدنة .

فخرج فى أثرها أخواها ، فقدِمَا ثانى يوم قدومها ، فقالا يا محمد ، شرطُنا أوْفِ به .

فقالت أم كلثوم : يارسول الله ، أنا امرأة ، وحال النساء إلى الضعف ، فأخشى أن يفتنونى فى دينى ، ولا صبر لى ، فنقضَ الله العهد فى النساء ، وأنزل آية الامتحان[1] ، وحكم فى ذلك بحكم رضوا به كلهم .

فامتحنها رسول الله ﷺ والنساء بعدها :

« ما أخرجكن إلا حُبُّ اللهِ ورسوله والإسلام ، لا حبّ زوج ولا مال » فإذا قلن ذلك لم يُرْدَدْن .

قال : ولما لم يكن لها بمكة زوج ، فتزوجها زيد ، ثم الزبير ، ثم عبد

---

(١) فى سورة الممتحنة : ﴿ يأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ... ﴾ [الآيتان : ١٠ ، ١١] .

يقول الإمام الذهبى فى سير أعلام النبلاء أسلمت وبايعت ولم يتهيأ لها هجرة إلى سنة سبع وكان خروجها زمن صلح الحديبية . وأخواها هما : الوليد وعمارة .

الرحمن بن عوف ، ثم عمرو بن العاص . فماتت عنده .

إنها شابة لم تنفصل من أبويها ولم تزوج .. دخل الإيمان قلبها فخرجت من مكة وحدها مهاجرة إلى الله ورسوله .. وخرج أخواها وراءها ليعيداها ..

وكان النبى ﷺ قد صالح قريشاً يوم الحديبية على أن يرد عليهم من جاءهم من المسلمين .

فلما هاجر إليه النساء أبى الله أن يردهن إلى المشركين ونزلت الآيات بامتحانهن ﴿ **فامتحنوهن** ﴾ بالحلف . هل هن مسلمات حقيقة أم لا ؟!

« وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط ممن خرج إلى رسول الله ﷺ وهى عاتق (الشابة أول ما تدرك) فجاء أهلها يسألون رسول الله ﷺ أن يرجعها إليهم حتى أنزل الله فى المؤمنات ما أنزل »

[رواه البخارى عن المسور بن مخرمة]

وقد نجحت أم كلثوم فى الامتحان ونجت بدينها من قومها . قيل : الامتحان أن تقول بالحلف :

ما خرجت إلا حبا لله ورسوله .. ما خرجت لالتماس دنيا ، ومن بغض زوج .

وقيل : أن تشهد بالكلمة بالطيبة .

وقد شهدت على ملأ من الأشهاد : أنه لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول **الله !**

لقد كان لها منزلتها بين المسلمين . يتبين ذلك **مما جاء فى الإصابة** وأخرجه ابن منده أن عمر بن الخطاب قال لأم كلثوم بنت عقبة امرأة عبد الرحمن ابن عوف :

أقال لك رسول الله ﷺ : « **انكحى سيد المسلمين عبد الرحمن بن عوف** » ؟ فقالت نعم .

وحديثها فى الصحيحين والسنن الثلاثة قالت :

« لم أسمعه – يعنى النبى ﷺ – يرخص فى شىء مما يقول الناس إنه كذب إلا فى ثلاث ... الحديث » .

وأخرج لها النسائى فى الكبرى حديثاً آخر فى فضل « **قل هو الله أحد** » .

روت عن النبى ﷺ عشرة أحاديث أخرج لها منها فى الصحيحين حديث واحد متفق عليه .

لقد آمنت « أم كلثوم بنت عقبة » دون رجال بيتها ، وفارقت خِدْرها ، ومستقر أمنِها ودَعَتِها . تحت جُنح الليل ، فريدة شريدة ، تطوى بها قدماها ثنايا الجبال . وأغوار التهائم بين مكة والمدينة إلى مفزع دينها . ودار هجرتها .. إلى رسول الله ﷺ ثم أعقبتها بعد ذلك أمها ، فاتخذت سنتها ، وهاجرت هجرتها ، وتركت شباب أهل بيتها وكهولهم وهم فى ضلالهم يعمهون[1] .

وسوف تظل كلمات أم كلثوم للرسول ﷺ نوراً يضىء الطريق لكل فتاة تؤمن بربها :

أتردنى يا رسولَ الله إلى الكفار يفتنونى عن دينى ، ولا صبرَ لى ، وحال النساء فى الضعف ما قد علمت ؟! إن هناك معاهدة تنص على رد كل من أسلم من مكة وهاجر إلى المدينة من الرجال والنساء .. وينزل القرآن ﴿ **إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن** ﴾ فكان يقول : « **والله ما أخرجكن إلا حب الله ورسوله والإسلام ! ما خرجتن لزوج ولا مال . فإذا قلن ذلك لم يرجعن إلى الكفار !** » .

---

(١) الإصابة : (ج ٨ ص ٢٧٥) .

٥ - خنساء بنت خذام

وضع الإسلام المرأة حيث ينبغى فهى ربة البيت والقائمة بأمره ، والمسئولة عنه .

يعاونها الرجل فيه ، وتعاونه هى فيما سواه ..

أما حريتها فتتجلى فى حرية الزواج .. وحرية إظهار رأيها .. وذلك شأنها وحقها ، وليس لأحد أن يغصبها فيه رأيها ، أو يعدُوَ إذنها . وحريتها فيه أبعد مدى ، وأتم شأنا من الرجل .

فهو إذا عقد عليها ثم لم يرضها فتركها قبل أن يبنى بها ، نزل عن نصف مهرها لها .

وإن تركها بعد ذلك فلها المهر كاملا ، وليس له أن يقول : هى دونى نسبا أو منزلة ، فكل النساء أكفاء للرجال ، وليس كل الرجال أكفاء للمرأة .

أما هى فلها أن تفصم عقدة الزواج إذا خدعت فيه أو أكرهت عليه ، وليس لامرىء أن يقودها قسرا إلى من لا تريد ، فلقد فصم الرسول ﷺ زواج « خنساء بنت خذام الأنصارية » ، لأن أباها زوجها وهى كارهة !

« وخنساء بنت خذام » هى من بنى عمرو بن عوف بن الأوس . لقيت النبى ﷺ عند مقدمه إلى المدينة وهى صبية حدَثة ، وسمعت عنه .

وكان قد خطبها اثنان : أحدهما : « أبو لبابة بن المنذر » أحد الأبطال النابهين من أصحاب الرسول ﷺ .

والثانى : رجل من بنى عمرو بن عوف - عشيرتها - فآثرت أبا لبابة وآثر أبوها ابنَ عمها ، ثم أمضى منه زواجها غير آبهٍ برضاها ، فأما هى فغدت

على رسول الله ﷺ فقالت :

إنَّ أبى قد تعدى عليّ فزوجنى ولم يشعر بى ، فقال لها : « **لا نكاح له . انكحى من شئت** »[1] فتزوجت أبا لُبابة .

واختلف المحدّثون فى أمرها حين زواجها ، ففى رواية الموطأ والثورى أنها كانت بكرا ، وفى رواية البخارى وابن سعد أنها كانت أيِّماً وأنها قالت : يارسول الله ، إن عم ولدى أحب إلى فجعل أمرها بيدها .

ويروى شمس الأئمة السرخسى[2] فى كتابه المبسوط حديث « خنساء بنت خذام » على الوجه الآتى :

قالت الخنساء : إن أبى زوجنى من ابن أخيه وأنا لذلك كارهة .

فقال ﷺ : « **أجيزى ما صنع أبوك** » .

فقلت : مالى رغبة فيما صنع أبى ؟

فقال ﷺ : « **اذهبى فلا نكاح له ، انكحى من شئت** » .

فقالت : أجزت ما صنع أبى ، ولكنى أردت أن يعلم الناس أن ليس للآباء من أمور بناتهم شىء » .

قال صاحب المبسوط : ولم ينكر عليه الصلاة والسلام مقالتها[3] .

ويقودنا الحديث عن الخنساء إلى الحديث عن « بريرة » ومَن بريرة ؟ هى جارية من جوارى الحبشة ، ملكها عتبة بن أبى لهب ، وزوجها عبدا من عبيد المغيرة ، ما كانت لترضاه لو كان لها أمرها .

فأشفقت عليها عائشة أم المؤمنين فاشترتها وأعتقتها . فقال لها الرسول ﷺ : « **ملكت نفسك فاختارى** » .

---

(١) صحيح البخارى ج ٧ ص ١٨ والإصابة ج ٨ ص ٦٥ .

(٢) شمس الأئمة السرخسى أحد أئمة الحنفية وأعلام القضاة ، وكتابه المبسوط من أشمل كتب التشريع الإسلامى وأحفلها ، يقع فى عشرين مجلدا . ومن عجيب أمره أنه أملاه وهو رهين السجن بأوزجند . وأوزجند : بلد من بلاد فرغانة فى أقصى حدود الدولة الإسلامية إلى الشرق والشمال . وكانت وفاته سنة ٤٨٣ رحمه الله .

(٣) المبسوط ج ٥ ص ٢ .

وكان زوجها يمشى خلفها ويبكى ، وهى تأباه . فقال النبى ﷺ لأصحابه :

« **ألا تعجبون من شدة حبه لها ، وبغضها له !** » ثم قال لها : « **اتقي الله ، فإنه زوجك ، وأبو ولدك** » .

فقالت : أتأمرنى ؟!

فقال لها : « **إنما أنا شافع** » . فقالت : إذاً فلا حاجة لى فيه »[1].

فهل يعجب الناس بعد ذلك أن يقف فتيات العرب دون عسف آبائهن وأوليائهن ؟!

كم من الجرائم ترتكب بسبب تجاهل رأى البنات وتزويجهن ممن لا يدانيهن فى طبع ، ولا يواتيهن فى خلق جريا وراء المادة وطمعا فيما عند الزوج من مال !!

ألا فليذكر الآباء ما تعانيه البنات من آلام نفسية وجسمية . هذه فتاة حدثة زوجها أبوها بغير إذنها تكتب إلى أبيها قائلة :

أَيَـا أَبتَـا عَنَّيتَنـى وابتليتنـى ... وصَيّرت نفسى فى يَدِ من يُهينُها
أيا أبتا لولا التحَرّج قَدْ دَعا ... عليك مُجَاباً دعوةً يستدينُها

وقالت أخرى آثر أبوها ابن عمها :

أيا عجبًا للخَوْد[2] يجرى وشاحها ... تُزَفّ إلى شيخ من القوم تِنْبالِ
دعاها إليه أنه ذو قرابة ... فويل الغوانى من بنى العم والخال

وإليك قصة « بريرة » كما روتها كتب الأعلام والتراجم والسير :

(١) المبسوط ج ٥ ص ٩٩ .
(٢) الخود : الحسنة الخَلْق الشابة أو الناعمة . القاموس المحيط .

٦ ـ بـريـرة
مولاة عائشة رضى الله عنها

يروى ابن سعد فى طبقاته : أن زوج بريرة كان عبدا أسود يسمى « مُغيثا »[١] فقضى فيه ﷺ أربع قضيات :

إن مواليها اشترطوا الولاء ، فقضى رسول الله ﷺ : « **أن الولاء لمن أعتق** » وخُيِّرت ، فاختارت نفسها .

فأمرها الرسول ﷺ أن تعتدَّ .

فكنت أراه – يعنى زوجَها – يتبعها فى سكك المدينة يعصر عينيه عليها .

قال : وتُصُدِّق عليها بصدقة ، فأهدت منها إلى عائشة ، فذكر ذلك للنبى ﷺ فقال : « **هو عليها صدقة ، ولنا هدية** » .

وإذا كان الشىء بالشىء يذكر ، فإنه يصبح من المناسب بعد ذكر ما كان من أمر تلك « المجادلة فى زواجها » أن نذكر ما كان من أمر بريرة مع زوجها « مغيث » ، فقد كان لها أيضا رأيها ، ولم تتنازل عنه أمام شفاعة الشافعين !

يروى ابن سعد فى طبقاته عن ابن عباس : ان رسول الله ﷺ خير « بريرة » فكلمها رسول الله ﷺ فيه ، فقالت : يا رسول الله ، أشىء واجب علىّ ؟! قال : **لا . إنما أشفع له !** قالت : فلا حاجة لى فيه .

وهكذا تقررت حرية المرأة فى أمر نفسها .. حرية تكفل للبيت النعيم .. وتوفر للمرأة الهناءة .. أى سماحة فى هذه الشفاعة ؟!

---

(١) يقول ابن حجر : قصتها فى الصحيحين ، وفيهما عن عائشة : «كانت فى بريرة ثلاث سنن ..» الحديث . وقد جمع بعض الأئمة فوائد هذا الحديث فزادت على ثلثمائة . ولخصتها فى فتح البارى .

وأى سماحة فى تقبل ردها ؟!

وأى قرار خطير ذلك الذى تم اتخاذه بأناة حين اعترف بحق القلب فى الاختيار ، وقدمه على الشفاعة ، وإن كانت شفاعة لا ترد !!

صلى الله عليك يا سيدى يا رسول الله ، أعطيت المثل والقدوة !

ألا ليت أولياء الأمور يعون هذا الدرس ! وتشتاق النفس إلى معرفة مزيد عن بريرة .. لقد كانت جارية حبشية يملكها عقبة بن أبى لهب فزوجها عبدا من عبيده يسمى « مغيثا » على غير رغبة منها !!

فكانت تضيق به ، وتتبرم منه ، ولكنها مملوكة ، وأمرها ليس بيدها .

فلما علمت السيدة عائشة أم المؤمنين – رضى الله عنها – بما تعانيه « بريرة » فى هذا الزواج اشترتها وأعتقتها ، وأصبح من حقها فسخ عقد الزواج ، أو إقراره بعد أن نالت حريتها !! لكن بريرة تختار الفسخ ، بعد أن قال لها رسول الله ﷺ : **« ملكت نفسك فاختارى »** !

فاختارت أن تنجو بنفسها من هذا الزواج الذى لا سعادة فيه ، فكان زوجها بعد الفراق يمشى خلفها ويبكى ، ويسترضيها فلا ترضى عنه !

وكان يرثى له كل من يراه خلفها باكياً !!

رآه رسول الله ﷺ مرة – وتلك حاله – فقال : **« ألا تعجبون من شدة حبه لها ، وبغضها له » ؟!**

ثم قال لها النبى ﷺ : « اتقى الله ، فإنه زوجك وأبو ولدك » .

فقالت : أتأمرنى يا رسول الله ؟!

فقال : « لا .. إنما أنا شافع » .

فقالت : « إذن ، فلا حاجة لى فيه » . [أخرجه الخمسة إلا مسلماً]

ويروى عبد الملك بن مروان عنها حديثا دار بينه وبينها فيقول : كنت أجالس بريرة بالمدينة فكانت تقول لى :

يا عبد الملك ، إنى أرى فيك خصالا ، وإنك لخليق أن تلى هذا الأمر ، فإن وُلّيته ، فاحذر الدماء !، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إن الرجل لَيُدفع عن باب الجنة بعد أن ينظر إليها بملء مِحْجَمَةٍ من دم يريقه من مسلم بغير حق »[1].

(١) يقول ابن حجر فى الإصابة : وذكرها أبو عمر من طريق عبد الخالق بن زيد بن واقد عن أبيه أن عبد الملك بن مروان قال : كنت أجالس بُرَيرة ... الخ» .

رابعاً

المرأة المسلمة أُختًا

- صفية بنت عبد المطلب .

[أخت الحمزة أسد الله]

- فاطمة بنت الخطاب .

[أخت الفاروق عمر]

- فاطمة بنت الوليد .

[أخت سيف الله خالد]

- سَفّانة بنت حاتم الطائى .

[أخت عدى بن حاتم]

- الفارعة بنت أبى الصّلت .

[أخت أمية بن أبى الصّلت]

- فاطمة بنت عتبة بن ربيعة .

[أخت هند بنت عتبة]

أخـوات مثاليـات

الأخت المثالية

نراها تسعى إلى توحيد الصف ، والعمل على التئام الشمل كلما دب الخلاف .

وهى التى تسعى إلى تشجيع الأبطال ، وشحذ الهمم .. وتسعى إلى حمل السلاح عندما يدعو الداعى حَىّ على الجهاد !

وقد بلغ من رجاحة عقلها ، وقوة شخصيتها أن يتوقف تدبير الأمور ووضع الخطط على رأيها ومشورتها .

وهى حاملة مشعل النور والهداية لمن حولها وهى الصابرة المحتسبة التى تقدم فى سبيل الله كل مُرْتَخصٍ وغالٍ راضية بما ينالها فى سبيل الله ، ورفع راية الحق .

وإليك نماذج للأخوات المسلمات اللاتى حملن الراية وكن حول الرسول ﷺ .

١ - صفية بنت عبد المطلب

أخت الحمزة

عمة الرسول ﷺ .. وأم الزبير بن العوام ..

وشقيقة « حمزة أسد الله » عم النبى ﷺ وحبيبه .

أسلمت مع الرعيل الأول ممن آمن بالنبى الكريم ، وهاجرت فيمن هاجر إلى يثرب .

الصابرة المحتسبة :

قلّ فى نساء العرب من تجاريها كرم مَنْبِت أو كرم فرع ! وهبها الله قوة إيمان ، وصبراً على الشدائد ، وتضحية فى سبيله ! وكانت مثالاً للأخت الصابرة المحتسبة الراضية بقضاء الله !

ففى « غزوة أحد » عندما تخلى « الرُّماة » عن مواقعهم طلبًا للغنائم مخالفين بذلك أمرَ الرسول ﷺ أتاهم عدوُّهم من خلفهم .

وكانت « هندُ بنت عتبة » زوجُ أبى سفيان ، وأُمُّ الخليفة معاوية من بعد ! قد خرجت مع جيش المشركين لتثأر لأبيها وعمها اللَّذَيْن قتلهما حمزة فى غزوة « بدر » .

وراحت تغرى عبدَها « وحْشِيًّا » إن هو تربص لحمزة وقتله فله من المال ما يشتهى .. وكان ما أرادت « هند » فقد رَمَى « وحشىٌّ » حمزةَ برُمحه كما يفعل الأحباش فخر حمزةُ صريعاً !!

وجرى وحشى إلى مولاته التى كانت ترقص فى رهط من عقائل قريش وهن يضربن لها بالدفوف تحميساً لرجال قريش ..

فأسرعت معه وقد حمل البشرى إليها ، وراحت تشق صدر الحمزة

وتنتزع كبِدَه وتلوكُه بأسنانها تشفِّيًا وانتقاماً ومُبالَغةً فى الثأر !

وبلغ الخبرُ « صفية » أختَ الشهيد .. أسد الله ، فأقبلت على ساحة الموقعة تبحث عنه ..

رآها الرسول ﷺ .. وعلم أن عمته ستواجه موقفا صعبا إذا هى رأت حمزة على تلك الحالة !

فقال لابنها الزبير : « **أرجعها حتى لا ترى ما بأخيها** » .

فذهب إليها ولدها وقال لها فى صوت هادىء حزين :

– أىْ أُمّى ، إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعى !

فقالت من فورها فى هدوء وثقة :

– ولم ؟ فقد بلغنى أنه مُثِّلَ بأخى ؛ وذلك فى الله ، فما أرضانا بما كان من ذلك ، وَلأَصْبِرنّ صبراً جميلاً ، ولأحتَسِبَنّ إن شاء الله !

وعاد الزُّبير يُخبر الرسول ﷺ بما هى عليه من صبر وثبات ويحمل مقالَتَها إلى رسول الله ﷺ .

فقال له الرسول : « **خلِّ سبيلَها** » .

وتقف صفية فى تجلد وإباء ، تُلقى على الشهيد نظرة وَدَاع وهى تقول : « عليك صلاة الله يا أبا عمارة ، وغفر لك ، نحن قوم عادتنا القتل والشهادة !! لا حول ولا قوة إلا بالله .. إنا لله وإنا إليه راجعون .. حسبى الله ونعم الوكيل .. وغفر الله لك ولى وجزاك جزاء عباده المخلصين » .

وتمر الأيام ويظل ثباتها « يوم أحد » مثلاً عالياً فى الصبر والجلد .

إنّ حياة صفية كلها دروس ..

بطولة المرأة وبطولة الرجل :

ففى غزوة « الخندق » كانت مع النساء والصبيان فى حِصْنٍ عليه « حسّان ابن ثابت » شاعر الرسول ﷺ ..

إن الموقف فى « المدينة » خطير جدا فقد حوصرت من كل جانب .. ويهود بنى قريظة قد خانوا العهد .. وأصبحت المدينة مهددة من الداخل

والخارج ..

وهنا رأت صفية « يهوديًّا » يطوف بالحصن .. ويمر بالخندق فقالت لحسان :

يا حسان ، هذا اليهودى يطوف بالحصن .. ولا آمَنُه أن يدلَّ اليهودَ الذين من ورائنا على عوراتنا !!

تُرى ماذا فعل حسان ؟

كان « حسّان » يخاف المعارك .. ويفر من المواجهة .. فقال : ليغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب !

والله لقد عرفت قديما ما أنا بصاحب هذا الأمر ، ومالى عليه طاقة !

إن نساء الرسول من أهل بيت صفية فى خطر .. فكيف تسكت ؟!

لقد أخذت عمودا من أعمدة الخيام ، وخرجت من الحصن فهجمت على اليهودى فضربته بالعمود على ناصية رأسه فخر على الأرض ..

وعندئذ عاجلته بضربات متلاحقة حتى أجهزت عليه .. ثم رجعت إلى الحصن وألقت العمود من يدها !! ثم عادت إلى « حسان » وقالت له :

– يا حسان ! ها قد قتلت اليهودى .. انزل فاسلبه[1]، فإنه لم يمنعنى من ذلك إلا أنه رجل وأنا امرأة !

فقال الشاعر : والله مالى حاجة إلى سَلَبِه ياابنة عبد المطلب !

لقد كانت صفية حول الرسول فى خدمة الدعوة بقوة التجلد وجمال الصبر والنجدة وسداد الرأى ، والدفاع عن الحرمات !

لقد شاءت الأقدار أن تعرض بطولة المرأة وبطولة الرجل فى كِفّتى ميزان فى حادثة واحدة ، وفى موقف واحد تخلى الرجل فيه عن الشجاعة التى لا يُنْتَظَر صدورها إلا من مثله ، ونزل راضيا عن موقف البطل ليتركه لامرأة كان يُنْتَظَر منها أن تكون دونَه شجاعةً .

---

(١) السَّلَب : ما مع القتيل من مال وسلاح . ومن المبادىء التى سادت القتال بين المسلمين وأعدائهم أن «من قتل قتيلا فله سَلَبُه» .

وهنا لا يتأخر التاريخ لحظة عن أن يُسَجِّل للمرأة شجاعتها وإقدامها وبسالتها فى موطن تخاذَل عنه الرجل ! فتصفح أى كتاب من كتب التاريخ أو السيرة أو الأخبار أو المغازى ، أو التراجم والطبقات فإننا لاشك واجدون قصة صفية بنت عبد المطلب مع الجاسوس اليهودى الذى راح يتجسس لينال عورة من المسلمين ..

إن ابن هشام يسجل حادثة صفية مع اليهودى نقلا عن المؤرخ ابن إسحق .

ويحفظ التاريخ لصفية هذا المقام لتتأسى به المرأة على مر السنين والأعوام !

ومايزال جواسيس اليهود فى كل مكان يتربصون بنا ، ويُعدون العدة لإقامة دولتهم على أشلاء ضحايانا ، فهل يعيد التاريخ نفسه لنجد بين صفوف نسائنا من تتصدى لأولئك الجواسيس ؟!

نريد أن تكون هناك فى كل موقع « صفية » يسجل التاريخ شجاعتها وإقدامها وبسالتها !!

إن تاريخ « صفية » ينادى كل عربىّ وعربية افتحوا عيونكم ، واحذروا المخاطر من حولكم !

٢ - فاطمة بنت الخطاب بن نفيل

القرشية أخت الفاروق عمر

كانت من المبايعات الأُوليات .

أسلمت قبل أخيها .. وكانت تخفى إسلامها منه .. عاشت فى خدمة الدعوة .. ولقيت ما لقيت فى سبيلها ! كان « خَبّاب بن الأَرتّ » يتردد عليها يُقرئها القرآن .. وكان زوجها « سعيد بن زيد » يحفظ معها أولا بأول ما يتلى عليهما من آيات الله ! ويذكر الرواة ما كان من أمر إسلام أخيها « عمر ابن الخطاب » فهو حتى تلك اللحظة كان مايزال على كفره حتى إنه ليخرج متقلدا سيفه يريد أن يقتل النبى ﷺ .

وعندئذ يلقاه رجل من « بنى زهرة » ويسأله عن وجهته ؛ فيخبره بما عزم عليه من قتل « محمد » ﷺ . لكن الرجل يحذره بطش بنى هاشم وبنى زهرة إنْ هُو أقدم على فَعلته ! ويُلْفِتُه إلى أمرٍ عجيب أَوْلى به أن يفكّر فيه !

ويتساءل « عمر » عن ذلك الأمر العجيب ..؛ فيجيبه الرجل : أجدَرُ بك أن تذهبَ إلى أختك وزوجها فقد تركا دينَهما وآمَنَا برب محمد !

ويُغيّر عُمَر وِجهتَه .. ويذهبُ إلى بيت أخته وزوجها .. وعندهما « خَبّاب بن الأَرتّ » .. خباب يتوارى فى البيت عندما سمع صوت عمر ! « عمر » يتساءل عن ذلك الصوت الذى سمعه ...! « فاطمة » تسرع إلى الصحيفة وفيها آيات من كتاب الله فتخفيها من عمر وتضعها تحت فخذها !

وعندئذ يقولان له : ما سمعتَ شَيْئًا .

قال : بلى والله ، لقد أُخبِرْتُ أنكما تابعتُما محمدا فى دينه وبطشَ بزَوْج أختِه « سعيد » فقامت فاطمة إليه لتكفَّه عنه فضربها فشجَّها .. حتى سال دَمُها على وَجهها .. وكانت المفاجأة إعلان « فاطمة » و« سعيد » أمام

« عمر » أنهما قد أسلما وآمنا بالله ورسوله ، فليفعل ما بدا له !

ورأى عمر الدمَ على وجه أخته فتملكه الندم وقال لها : أعطينى تلك الصحيفة التى سمعتكم تقرءون منها لأنظر ما هذا الذى جاء به محمد !

فقالت فاطمة : إنا نخشاك عليها !

قال عمر : لا تخافى ، وحلف لها بآلهته لَيَرُدَّنَّها إليها إذا قرأها !

فلما قال ذلك طَمعتْ فى إسلامه .. وراحت تقول له : يا أخى إنك نجس على شركك ، وهذه الصحيفة لا يَمَسُّها إلا المطَهّرون .. قم واغتسل أولا قبل أن تمسها ! فاغتسل عمر .. وأعطَتْه الصحيفة وفيها ﴿ **طه** ..... ﴾ [طه : ١- ٨]

فلما قرأ صدراً منها قال : ما أحسنَ هذا الكلامَ وأكرَمَه !

كل ذلك و« خباب بن الأرَتّ » مختبىء خائف بطشَ عمر !فلما سمع منه ذلك قال له : ياعمر ؛ والله إنى لأرجو أن يكونَ اللهُ قد خصّك بدعوة نَبيِّه ؛ فإنى سمعته أمس وهو يقول : « **اللهم أيد الإسلام بأبى الحكم بن هشام ، أو بعمر بن الخطاب** » .

فاللهَ اللهَ يا عمر !

فقال له عمر عند ذلك : فدُلّنى يا خَبّاب على محمد حتى آتيه فأُسلم ، فقال له خباب :

هو فى بيت عند « الصفا » معه فيه نفر من أصحابه . فأخذ عمر سيفه فتوشّحَه ، ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه ، فضرب عليهم الباب ، فلما سمعوا صوتَه ، قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خَلَلِ الباب فرآه متوشحاً السيف ، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع ! فقال : يا رسول الله ؛ هذا عمر بن الخطاب متوشحا السيف ، فقال حمزة بن عبد المطلب : فأْذن له : فإن كان جاء يريد خيرا بذلناه له ، وإن كان يريد شرا قتلناه بسيفه .. فقال رسول الله ﷺ : « **ائذن له !** » .

فأذن له الرجل ، ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه بالحجرة ، فأخذ بحُجْزته أو بمَجْمع ردائه ، ثم جَبذه جبذةً شديدة وقال : « **ما جاء بك يابن**

الخطاب ، فوالله ما أرى أن تنتهى حتى يُنزِلَ الله بك قارعة ! » .

فقال عمر : يا رسولَ الله ، جئتُك لأومن بالله وبرسوله ، وبما جاء من عند الله !

فكبر الرَّسول ﷺ تكبيرة عَرَفَ أهلُ البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن عمرَ قد أسلم ، فتفرق أصحابُ رسول الله ﷺ من مكانهم ، وقد عَزُّوا فى أنفسهم حين أسلم « عمر » مع إسلام « حمزة » .

وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ وينتصفون بهما من عدوهم .

وعاشت فاطمة لترى أخاها « عمر » خليفةً للمسلمين وأميراً للمؤمنين .

وذكر ابن الجوزى أنها روت عن رسول الله ﷺ .

هذه هى فاطمة بنت الخطاب أخت عمر سبقته إلى الإسلام فكانت من وراء إسلامه .

وأراك تقولين : حقا وراء كل عظيم امرأة عظيمة[1]!

(١) المراجع : سيرة ابن هشام ، المجتبى لابن الجوزى ، طبقات ابن سعد ، الصواعق المحرقة لابن حجر ، الإصابة لابن حجر ، الاستيعاب لابن عبد البر ، المستدرك للحاكم .

٣ - فاطمة بنت الوليد بن المغيرة

أخت خالد بن الوليد

أسلمت يوم الفتح ، وبايعت ؛ وهى زوج الحارث بن هشام . قال ابن عساكر :

فاطمة بنت الوليد بن المغيرة أخت خالد لها صحبة . وخرجت مع زوجها الحارث إلى الشام ، واستشارها خالد أخوها فى بعض أمره وهو الذى دوّخ الفرس والروم !

فعندما جاء عزل أخيها من عمر بن الخطاب أقبل عليها يستشيرها !!

فقالت له رأيها .. فقبّل خالد رأسها وهو يقول لها : صَدَقْتِ والله !

فتم على أمره ، وأبى أن يكذب نفسه !

روت عن النبى ﷺ حديث الإزار الذى أخرجه العقيلى « أنها كانت بالشام تلبس الجِبابَ من ثيابِ الخزّ ، ثم تأتزر ؛ فقيل لها : ما يغنيك عن هذا الإزار ، فقالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يأمر بالإزار » .

وهكذا تكون الأخوة الصادقة .. تبادل النصح والمشورة .

فخالد بن الوليد سيف الله المسلول يلجأ إلى أخته فاطمة ليأخذ رأيها فى أخطر ما واجهه فى حياته ، وفاطمة تصدقه المشورة والنصيحة .

وهكذا تضرب المثل فى دنيا الأخوات والإخوة .

٤ ـ سفانة بنت حاتم الطائى

أخت عدى بن حاتم

نموذج من نماذج الفصاحة والبلاغة والحسن والجود والكرم ، ومكارم الأخلاق ، وكيف لا .

وأبوها حاتم الطائى الذى يضرب بكرمه المثل ؟! ومن شابه أباه فما ظلم !

قال لها أبوها ذات يوم :

يا بُنَيّة ، إن الكريمين إذا اجتمعا فى المال أتلفاه ، فإما أن أعطى وتُمسكى ، وإما أن أمسك وتعطى ؛ فإنه لا يبقى على هذا شيء !

قالت : فلا نتجاور .

فقاسمها ماله وتباينا .

وتتجلى فصاحتها عندما وقعت أسيرة فراحت تعرض قضيتها وتعرّف بنفسها .

ذكرها ابن إسحاق فى المغازى قال :

أصابت خيل رسول الله ﷺ ابنة حاتم فى سبايا طيىء ، فقدمت بها على رسول الله ﷺ فقامت إليه – وكانت امرأة جزلة[1]– فقالت : يارسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد !

فقال : « ومن وافدك ؟ » .

قالت : عدى بن حاتم قال :

(*) الأغانى ص ٩٣ ج ١٦ ، وإنسان العيون ص ٢٨٥ ج ٢ ، وغرر الخصائص ص ١٢ .

(١) يقال : جزل فلان أى : صار ذا رَأي جيد قوى محكم .

« **الفارّ من الله ورسوله !** » .

ومضى حتى مرّ ثلاثاً .

قالت : فأشار إلىّ رجل من خلفه : أَنْ قومى فكلميه ، قالت : يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامْنُن علىّ مَنّ الله عليك !

قال : « **قد فعلت ؛ فلا تعجلى حتى تجدى ثقة يبلغك بلادك ، ثم آذنينى** » .

قالت : وكسانى رسول الله ﷺ ، وحملنى ، وأعطانى نفقة ، فخرجت حتى قدمت على أخى ، فقال : ما ترين فى هذا الرجل ؟ فقلت : أرى أن تلحق به .

وأورد الخرائطى قصتها فى مكارم الأخلاق .

ويُروى أنها قالت : يا محمد ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فإن رأيت أن تخلى عنى ، فلا تشمت بى أحياء العرب !؛ فإنى بنت سيد قومى !

كان أبى يفك العانى (الأسير) ..

ويحمى الذّمار (العهد) ..

ويقرى الضيف (يطعمه) ..

ويشبع الجائع ..

ويفرج عن المكروب ..

ويُطعم الطعام ..

ويُفْشى السلام ..

ولم يرد طالب حاجة قط ..

أنا بنت حاتم الطائىّ ..

فقال لها رسول الله ﷺ : « **يا جارية ، هذه صفة المؤمن ، لو كان أبوك إسلامياً، لترحمنا عليه، خلُّوا عنها ؛ فإن أباها كان يحب مكارم**

الأخلاق ، والله يحب مكارم الأخلاق » ، ثم أسلمت وحَسُن إسلامها* .

وامتن عليها بقومها ، فأطلقهم تكريما لها !

فاستأذنته فى الدعاء له ، فأذن لها ، وقال لأصحابه : « **اسمعوا وعُوا** » !

فقالت : أصاب الله بِبِرّك مواقعه !

ولا جعل لك إلى لئيم حاجة !

ولا سلب نعمةً عن كريم قومٍ إلا جعلك سببا فى ردها .

سفانة من وراء إسلام أخيها :

فلما أطلقها رجعت إلى أخيها عدى ، وهو بدومة الجندل ؛ فقالت له : يا أخى ، إيتِ هذا الرجل قبل أن تعلقك حبائله ، فإنى قد رأيت هديا ورأيا سيغلب أهل الغلبة ، ورأيت خصالا تعجبنى :

رأيته يحب الفقير ، ويفك الأسير ، ويرحم الصغير ، ويعرف قدر الكبير ، وما رأيت أجود منه ولا أكرم ؛ فإن يك نبيًّا فلينلك فضله ، وإن يكن ملكاً فلن تزال فى عز ملكه !

فقال « عدى » : إن هذا الرأى والله !

وَقَدم « عدى » إلى رسول الله ﷺ فأسلم وأسلمت « سفانة » وسماها ابن هشام : « حازمة » . [سيرة ابن هشام]

(*) الإصابة . الأغانى - تاريخ ابن عساكر - تاريخ الطبرى . ذيل الأمالى للقالى . الروض الأنف للسهيلى .

٥ـ الفارعة بنت أبى الصلت الثقفية

أخت أمية بن أبى الصلت

كل من عاصروها شهدوا لها بأنها كانت ذات لُبٍّ وعفافٍ وحسن وجمال .

وكان لأخيها منزلته فى الجاهلية فهو أمية بن أبى الصلت الشاعر المشهور .

قَدِمت على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعد فتح الطائف ، فقال لها[1]: « **تحفظين من شعر أخيك ؟** » .

فأنشدته أبياتاً !!

فقال النبى ﷺ : « **كان مثل أخيك كمثل الذى آتاه الله آياتِه فانسلخ منها فأَتبعه الشيطانُ فكان من الغاوين** » .

وفى الإصابة أن النبى ﷺ قال : « **آمن شِعرُه وكفَرَ قلبُه** » ، فنزلت : ﴿ **واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها ..** ﴾

[الآية ١٧٥ من سورة الأعراف]

روى عنها ابن عباس .

لم يمنعها عدم تلبية أخيها نداء الإسلام من أن تُقْدِم على الرسول ﷺ وتُعلن إسلامَها ، وتتخذَ قرارها بنفسها .

وهكذا ينبغى أن تكون المرأة وبخاصة فى القضايا المصيرية فإنه لا تزر وازرة وزر أخرى !

---

(١) أبو عمر فى الاستيعاب .

٦ ـ فاطمة بنت عتبة بن ربيعة

أخت هند بنت عُتبة

بايعت النبى ﷺ يوم الفتح مع أختها هند بنت عتبة . وكانت من رباتِ الفصاحة والبلاغة . فحين أسلمت جاءت رسولَ الله ﷺ وقالت :

يا رسول الله ، قد كنتَ وما فى الأرض قبةٌ أُحِبّ أن تُهدم مِنْ قُبَّتِك !

وإنى اليوم وما فى الأرض قبة أحب إلى بقاء من قبتك !

فقال رسول الله ﷺ : « **أما إن أحدكم لن يؤمن حتى أكونَ أحبَّ إليه من نفسه** »[1]!

وهى التى كانت قبل إسلامها تعادى « بنى هاشم » وتقول : يابنى هاشم ، لا يحبكم قلبى أبداً !!

أين أبى ؟

أين عمى ؟

أين أخى ؟

وتزوجت « فاطمة » « عقيل بن أبى طالب » وكانت ذات مال كثير[2]!

---

(١) قال ابن حجر فى الإصابة : أسنده ابن منده ، من طريق أبى بكر بن عياش ، عن محمد بن عجلان ، عن أمه ، عن فاطمة ، قالت : قلت : يارسول الله ، ما كان على ظهر الأرض خباء أحب إلى أن يُذلهم الله من أهل خبائك .. الحديث » .

(٢) المراجع : طبقات ابن سعد ، أسد الغابة لابن كثير ، البيان والتبيين للجاحظ .

خامساً

المرأة المسلمة مبايعة ووافدة

- أميمة بنت رقيقة .
- معاذة جارية عبد الله بن أبى بن سلول .
- هند بنت عتبـة
- أسماء بنت يزيد بن السكن .
- حواء بنت يزيد بن السكن .
- أم رعلة القشيرية .

مبايعـات صـادقـات

المـرأة مبايعـة

أسرع النساء إلى رسول الله ﷺ يبايعنه على السمع والطاعة . وبايعهن الرسول ﷺ على الإيمان .

وقد بايع الرسول ﷺ الرجال على مثل ما بايع عليه النساء .

فعن عائشة - رضى الله عنها - قالت :

كان رسول الله ﷺ يُبَايع النساءَ بالكلام بهذه الآية : ﴿ **أن لا يُشْرِكْن بالله شيئاً ..** ﴾ [سورة الممتحنة : ١٢]

وما مَسّت يدُ رسول الله ﷺ يَدَ امرأة قَطّ ..

وكان رسول الله ﷺ إذا أقررن بذلك من قولهن . يقول : « **انطلقن فقد بايعتكن ، لا والله ما مست يَدُه يد امرأة قطّ غير أنه بايعهن بالكلام** » [أخرجه الشيخان والترمذى]

وإليك مزيداً من تفصيل ماجاء بشأن مبايعة النساء وأركانها وما نزل فيها لتجددى بيعتك مع الله قولاً وعملا وسلوكاً ..

❋ امتحان القَبُول للمهاجرات المبايعات

يقول الله تعالى فى سورة الممتحنة : ﴿ **يأيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ، ولا يزنين ، ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ، ولا يعصينك فى معروف فبايعهن ...** ﴾ [سورة الممتحنة : ١٢]

أخرج البخارى والترمذى وغيرهما عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية إلى قوله : ﴿ **غفور رحيم** ﴾ .

فمن أقرّ بهذا الشرط منَ المؤمنات قال لها النبى ﷺ « **قد بايعتك** » كلاماً ، ولا والله ما مسّت يدُه يدَ امرأة قط من المبايعات ، ما بايَعُهن إلا بقوله : « **قد بايعتُك على ذلك** » ﴿ **على أن لا يشركن بالله شيئاً** ﴾ كان هذا يوم فتح مكة أتين يبايعنه ﴿ **ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن** ﴾ كما كانت تفعله الجاهلية من وأد البنات .

﴿ **ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن** ﴾ أى : لا يُلحِقْن بأزواجهن ولداً ليس منهم .

قال ابن عباس : كانت الحرة تولد لها الجارية (الأنثى) فتجعل مكانها غلاماً .

﴿ **ولا يعصينك فى معروف** ﴾ أى : فى كل ماهو طاعة لله وإحسان إلى الناس ، وكل ما نهى عنه الشرع .

قال المقاتلان[1]: عَنى بالمعروف : النهى عن النّوح ، وتمزيق الثياب ، وجزّ الشعر ، وشق الجيوب ، وخَمْش الوجوه ، والدعاء بالويل .

ومعنى القرآن أوسع مما قالاه .

أخرج أحمد والترمذى وصححه والنسائىّ وابن ماجه ، عن أميمة بنت

---

(١) هما : مقاتل بن حيان ، ومقاتل بن سليمان الأزدى المتوفى سنة ١٥٠هـ .

رقيقة قالت : أتيت النبى ﷺ فى نساء لنبايعه ، فأخذ علينا ما فى القرآن : ألا نشرك بالله شيئاً .. حتى بلغ : ولا يعصينك فى معروف فقال : « **فيما استطعتن وأطقتن** » ، فقلنا : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا ، يارسول الله ، ألا تصافحنا ؟ قال : « **إنى لا أصافح النساء ، إنما قولى لمائة امرأة كقولى لامرأة واحدة** » .

﴿ **فبايعهن** ﴾ أى : الْتَزِمْ لهن ما وعَدْنَاهُنَّ به على ذلك من إعطاء الثواب فى نظير ما ألزمْن أنفسَهن من الطاعات ، فهى مبايعة لغوية .

قال ابن الجوزى : **وجملة من أحصى من المبايعات إذْ ذاك أربعمائة وسبع وخمسون امرأة ، ولم يصافح فى البيعة امرأة ، وإنما بايعهن بالكلام بهذه الآية** .

وهذه البيعة الثابتة بالسنة فى دين الإسلام فمن أنكرها فقد أنكر القرآن .

وهكذا ثبت ذلك فى الرجال ، وهى على أنواع : بيعة الجهاد ، وبيعة ترك السؤال ، وبيعة قبول الإسلام ؛ وبيعة عدم الفرار من الزحف .

وحج النبى ﷺ ومعه مائة ألف وأربعة وعشرون نفسا كلهم من المبايعين[1].

وإليك نماذج لأولئك المبايعات الصادقات .

---

(١) حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله فى النسوة .

١ ـ أميمة بنت رقيقة

روت عن النبى ﷺ . وكانت من المبايعات .

وحديثها فى الترمذى وغيره أنها قالت : بايعت النبى ﷺ فى نسوة ، فقال لنا : « **فيما استطعتنّ وأطقْتُنّ** » .

قلنا : اللهُ ورسولهُ أرحمُ مِنّا بأنفسنا !

ويقول ابن حجر فى الإصابة : وأخرج مالك الحديث مطوّلا عن ابن المنكدر ، وصححه ابن حبّان من طريقه ، ولفظه :

« أتيتُ رسول الله ﷺ فى نسوةٍ من الأنصار ، فقلنا : نبايعك يا رسولَ الله ، على ألا نُشرك بالله شيئاً .. ولا نسرق .. ولا نزنى .. ولا نقتل أولادنا .. ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا .. ولا نعصيك فى معروف » .

فقال ﷺ : « **فيما استطعتُن وأطقتُن** » .

فقلنا : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا .

هَلُمّ نبايعك يا رسولَ الله . (قال سفيان : يعنين : صافحنا) . فقال : « **إنى لا أصافح النساء ، إنما قولى لمائة امرأة كقولى لامرأة واحدة** »
[أخرجه مالك والترمذى والنسائى]

نقلها معاوية إلى الشام وبنى لها دارا .

وهكذا تظل أُميمة بنت رُقَيْقَة تذكر كل مسلمة بـ « بنود » البيعة التي تلتزم بتنفيذها كل من اتخذت الإسلام لها دينا فيما استطاعت وأطاقت .

إنها ستة مبادىء هى خلاصة الإسلام فى بساطته وسمو أهدافه .

فهل نعيد ترتيب الأوراق بعد وقفة متأنية مع النفس لنقوم من جديد بتجديد البيعة لله ولرسوله على هذه المبادىء ؟!

وللشيخين وأبى داود عن عائشة رضى الله عنها : « ما مَسّ رسول الله ﷺ يدَ امرأة قط إلا أن يأخذ عليها ، فإذا أخذ عليها فأعطته قال : « **اذهبى فقد بايعتك** » .

٦ - معاذة جارية عبد الله
ابن أبيّ بن سلول

حياتها تطبيق عملى لبنود المعاهدة والمبايعة على الرغم من أنها كانت أمة !

وتفصيل ذلك أنها عندما أسلمت وبايعت النبى ﷺ كانت عند عبد الله بن أبى بن سلول .

وكان عنده أسير فكان عبد الله يضربها لتمكنه من نفسها رجاء أن تحبل فيأخذ فى ذلك فداء وهو العَرَض الذى قال الله عز وجل :

﴿ لتبتغوا عَرَض الحياة الدنيا ﴾ [النور : ٣٣]

وكانت « مُعاذة » تأبى عليه وهى مسلمة !

وقال الزهرى : كانت مسلمة فاضلة ، فأنزل الله :

﴿ ولا تُكرِهوا فتياتكم على البغاء ﴾ [النور : ٣٣]

ثم إنها أعتقت ، وتزوجت بعد ذلك سهل بن قرظة .

[أسد الغابة لابن الأثير]

لقد ملأ الإيمان قلبها ، فصانت نفسها عن الحرام ، ولم يفلح معها الإرغام وهى الأَمَة المملوكة ، ولكنه الإباء .. إباء الإسلام ، وسوف تظل مثلا فى العفة والتَصوّن على مدى الأيام .

نعم ستظل مثلا للمرأة المسلمة المستقيمة فى البيئة الفاسدة المنافقة الكافرة .

إنها تنضم للركب المؤمن ، وتعلن كلمة التوحيد ، وتَتَحمّل الأذى والعذاب صابرة محتسبة ، وتثور على سيدها فى سبيل الطهارة والعفة .

إن عفافها وطهرها نموذج يحتذى .

إن المهمة الخبيثة لشياطين الإنس فى عصرنا دعوة المرأة إلى تجاوز المحظور .. إلى الفتنة .. إلى الزينة المحرمة .. إلى اللبس العارى .. إلى اللباس المثير ؛ ومن ثم إلى تهييج العواطف ، وتلويث الفروج ! إن حفظ الفرج هو حفظه من كل ما يدعو إلى إثارته وإثارة الناس نحوه .. إنه أكبر من ترك الزنا بل هو حفظه عن كل مثيراته .

ويذكر القرآن الكريم أن السيدة مريم عندما أحصنت فرجها كانت أهلا لأن تحمل كلمة الله !

٣ - هند بنت عتبة

وصفها ابنها معاوية بن أبى سفيان بقوله : « إنها فى الجاهلية عظيمة الخطر ، وفى الإسلام كريمة الخبر » .

إنها بنت زعيم فى ناديها هو عُتبة بن ربيعة .

وزوجة زعيم فى قريش هو أبو سفيان بن حرب .

وأم زعيم فى بنى أمية هو : معاوية بن أبى سفيان .

وأمها سيدة من سيدات قومها هى صفية بنت أميّة بن حارثة .

ومن أجل هذا يقول عنها الإمام ابن عبد البر :

« كانت امرأة لها نَفْسٌ وأَنَفَة » .

وكما كان عمر - رضى الله عنه - شديدا على المسلمين قبل إسلامه ، كذلك كانت هند حتى أطلق عليها « آكلة الأكباد » .. وإذا كانت قوة شخصيتها قد شانتها قبل الإسلام فى ظلمات الجاهلية ، فقد زانتها قوة شخصيتها فى أضواء الإسلام .

وبعد أن أسلمت هند ، واستقامت على الطريق نجد أنفسنا نمر مر الكرام ونحن نقلبُ صفحات ماضيها يوم راحت تثأر لمقتل أخيها شيبة ، وأبيها عتبة وتحرّض غلامها وحشيا على الثأر ، وتُظْهِر من الشماتة لمصرع سيد الشهداء حمزة ما يفوق الوصف ، ويثير الغيظ والمرارة فى النفس ! لكنّ رحمةَ الله وسعت كل شيء !

فقد ظلت هند على كفرها حتى تم فتح مكة ، وأسلم زوجها ..

وراحت تفكر من جديد فيما يمكن أن تصنعه !!

لقد كانت تخشى إهدارَ دمها نظراً لما كان منها فراحت لأول مرة تشاهد جموعَ المسلمين وهم يصلون حول الكعبة عقب الفتح فتأثرت بما رأت ، وهنا قالت : إنى أريد أن أبايع محمداً !!

فقيل لها : فاذهبى برجل من قومك معك .

فذهبت إلى « عمر » فاستأذن لها ، فدخلت وهى متنقبة ، والرسول ﷺ لا يعرفها فأعلنت إسلامها .

وبإعلان كلمة الإسلام حصّنت نفسها ، وعصَمت دمَها ، وحفظت حياتَها !!

يقول ابن عبد البَرّ فى الاستيعاب : « ثم ختم اللهُ لها بالإسلام ، فأسلمت يوم الفتح » .

ويقول النووى فى تهذيب الأسماء واللغات : « أسلمت فى الفتح بعد إسلام زوجها أبى سفيان بليلة ، وحَسُنَ إسلامها ، وأقرهما النبى ﷺ على زواجهما » .

والذى يعنينا هنا تلك الصفحة المضيئة من حياتها بعد أن أسلمت ووسعتها رحمة الله منذ أن بايعت الرسول ﷺ .

يقول الإمام الطبرى : « لقد دخَلت عليه متنقبة متنكرة بسبب ما صنعت فى حمزة ، ولأنها كانت تخاف أن يؤاخذها على ذلك . وبدأ الرسول ﷺ يقول للنساء – وهى بينهن –: « **تبايعننى على ألا تشركن بالله شيئاً ولا تسرقن** » وهنا لم تملك هند نفسها أن قالت :

إنها كانت تحس بأن زوجها أبا سفيان بخيل ، وكانت تأخذ من ماله ما تحتاج إليه .

وهنا عرَفها الرسول ﷺ فقال : **وإنك لهند بنت عتبة** .

أجابت : أنا هند بنت عتبة فاعفُ عما سلف عفا الله عنك . واستمر الرسول ﷺ فى المبايعة قائلاً : « **ولا تزنين** » .

وسارعت هند بتعليقها الرائع تقول : وهل تزنى الحرة ؟!

وواصل الرسول ﷺ مبايعته قائلا : « **ولا تقتلن أولادكن** » .

فعلقت هند بقولها : قد ربّيناهم صغاراً ، وقتلتَهم يوم بدرٍ كباراً ، فأنت وهم أعلم !

وهنا ضحك عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – فبالغ فى الضحك .

ثم قال الرسول ﷺ : « **ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن** » .

فقالت هند : والله إن إتيان البهتان لقبيح !

ثم قال الرسول ﷺ : « **ولا تعصيننى فى معروف** » .

فعلقت هند بقولها : ما جلسنا هذا المجلس ، ونحن نريد أن نعصيَك فى معروف ! » .

وهنا تتجلى شخصيتها القوية فى الإسلام وهى تسائل وتحاور وتستفهم وتراجع !!

ويتجلى صدقها حين عادت إلى بيتها بعد أن بايعت رسول الله ﷺ فوجدت فى ركن من البيت صنما كأنها لم تلحظه منذ حين ، فأقبلت عليه مَغيظَة مُحنَقة ، كأن لها عنده ثأراً ، وتناولت قدوماً ، وجعلت تحطمه قطعة قطعة ، وهى تخاطبه بقولها : كنا منك فى غرور .. كنا منك فى غرور !!

لقد علمها الإسلام أن الرجوع إلى الحق فضيلة ، وأنه ليس بعد الحق إلا الضلال !

ولقد حاولت التكفير عما فعلت فى جاهليتها فأسهمت فى الجهاد مع المسلمين ، وقد اشتركت مع زوجها أبى سفيان فى غزوة اليرموك المشهورة وأبلت بلاء حسنا .

وأعود فأذكر للقارىء الكريم تلك الصورة التى تصورها وهى تقف بين عهدين والتى ذكرها ابن سعد فى طبقاته حيث قال :

لما كان يوم الفتح أسلمت هند بنت عتبة ، ونساء معها ، وأتين رسول الله ﷺ وهو بالأبطح فبايعنه فتكلمت هند فقالت :

يا رسول الله ، الحمد لله الذى أظهر الدين الذى اختاره لنفسه ، لتنفعَنِى رَحِمُك .

يا محمد ، إني امرأة مؤمنة بالله ، مصدقة برسوله . ثم كشفت عن نقابها وقالت :

أنا هند بنت عتبة .

فقال : **مرحبا بك** .

فقالت : والله ما كان على الأرضِ أهل خِباء أحب إلى من أن يذلّوا من خبائك ، ولقد أصبحت وما على الأرض أهل خباء أحبّ إلىّ من أن يعزوا من خبائك !

فقال رسول الله ﷺ وزيادة .

وقرأ عليهن وبايعهن .

فقالت هند من بينهن :

يا رسول الله ، نماسحك ؟

فقال : **إنى لا أصافح النساء . إن قولى لمائة امرأة مثل قولى لامرأة واحدة**[1] .

وتقود هند النسوة المسلمات لصد هجوم الروم يوم اليرموك بأعمدة الخيام بعد أن ذاقت حلاوة الإيمان والإسلام .

وتعيش هند حتى السنة الرابعة للهجرة وعندئذ تلحق بربها رحمها الله ، وعفا عنها .

(١) أخرجه مالك والترمذى والنسائى .

٤ - أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية

محدثة فاضلة ومجاهدة جليلة . كانت من ذوات العقل والدين والخطابة حتى لقبوها بـ « خطيبة النساء » ، ووافدة النساء إلى رسول الله ﷺ .

وهى بنت عم معاذ بن جبل ، وكانت تكنى « أم سلمة » الأنصارية .

أتت النبى ﷺ وهو فى أصحابه فقالت :

بأبى أنت وأمى يا رسول الله !

أنا وافدة النساء إليك !

إن الله عز وجَلّ بعثك إلى الرجال والنساء كافة فآمنا بك وبإلٰهك .

وإنا معشر النساء محصورات مقصورات ، قواعد بيوتكم ، ومقضى شهواتكم ، وحاملات أولادكم !

وإنكم – معشر الرجال – فُضّلتم علينا فى الجُمَع والجماعات ، وعيادة المرضى ، وشهود الجنائز ، والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله – عز وجل – وإن الرجل منكم إذا خرج حاجّا أو مجاهدا ، حفظنا لكم أموالكم ، وغزلنا أثوابكم وربينا لكم أولادكم ، أفلا نشارككم فى هذا الأجر ؟!

فالتفت النبى ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال : « **هل سمعتم بمقالة امرأة قط أحسن من مسائلها فى أمر دينها من هذه** » ؟

فقالوا : يا رسول الله ، ما ظننا أن امرأة تهتدى إلى مثل هذا !!

فالتفت النبى ﷺ إليها فقال : « **افهمى أيتها المرأة .. وأعْلِمِى من خلفك**

من النساء .. أن حُسْنَ تَبَعُّل المرأةِ لزوجها ، وطلبها مرضاته ، واتباعها موافقته يعدل ذلك كله »[1].

فانصرفت وهى تهلل[2].

وروت عن النبى ﷺ ٨١ حديثا .

وروى لها أبو داود والترمذى والنسائىّ وابن ماجه ومهاجر بن أبى مسلم وشهر بن حَوْشب .

وشهدت أسماء بنت يزيد « اليرموك » وقتلت يومئذ تسعة من الروم بعمود خبائها وشهدت الفتح* .

---

(١) حسن تَبَعُّل المرأة لزوجها : قيامها بواجب الزوجية . أشار اليه ابن الأثير فى مادة «بَعَل» بقوله : «ومنه حديث أسماء الأشهلية : «إذا أحسنتن تَبَعُّل أزواجكن» الخ .

(٢) عزا الطوسى هذه القصة لأسماء بنت عبيد الأنصارية . وجعل ابن منده وأبو نعيم هذه القصة لأسماء بنت يزيد الأشهلية وقالا : إنها غير أسماء بنت يزيد بن السكن . وأما ابن عبد البر فجعل أسماء بنت يزيد بن السكن هى الأشهلية ، وهى رسول النساء . ووافقه أبو نعيم . وأنكر على ابن منده . وجعل أحمد بن حنبل أسماء بنت يزيد بن السكن هى الأشهلية .

(*) لمزيد من التفاصيل يرجع إلى : الاستيعاب لابن عبد البر . الإصابة لابن حجر . أسد الغابة لابن الأثير . سير النبلاء للذهبى .

٨ - حواء بنت يزيد بن السكن الأنصارية زوجة قيس بن الخطيم

نموذج رائع من نماذج الإيمان بالله ورسوله والتضحية فى سبيلهما .

أسلمت وبايعت النبى ﷺ بمكة قبل الهجرة فحسن إسلامها ! ووافى زوجها « قيس بن الخطيم » الشاعر « ذا المجاز »[1]. فأتاه الرسول ﷺ ودعاه إلى الإسلام ، فقال قيس : ما أحسن ما تدعو إليه !، وإن الذى تدعو إليه لحسَن ! ولكن الحرب شغلتنى عن هذا الحديث !

فقال رسول الله ﷺ : **« يا أبا يزيد ، إن صاحبتك « حواء » قد بلغنى أنك تسىء صحبتها . قد فارقت دينَك فاتق الله واحفظنى فيها ! ولا تعرض لها ! »** .

قال : نعم وكرامة !

أفعل ما أحببت .. لا أعرض لها إلا بخير !

ثم قدم قيس المدينة فقال :

يا حواء ، لقيت صاحبك محمداً فسألنى أن أحفظك فيه ، وأنا والله وافٍ له بما أعطيته ، فعليك بشأنك ؛ فوالله لا ينالك منى أذى أبداً .

فأظهرت حواء ما كانت تخفى من الإسلام ، فلا يعرض لها قيس بن الخطيم .

فيُكَلّم فى ذلك ، ويقال له : يا أبا يزيد ، امرأتك تتبع دين محمد : فيقول قيس : قد جعلت لمحمد أن لا أسوءها وأحفظه فيها* !

(*) فى طبقات ابن سعد : بنت زيد . وفى الأغانى وأسد الغابة والإصابة «حواء بنت يزيد بن سنان» وفى الاستيعاب : حواء بنت يزيد بن السكن .

(١) سوق من أسواق مكة . مثل عكاظ ، ومجنة : كان ملتقى الشعراء والوفود .

(*) لمزيد من التفاصيل : طبقات ابن سعد ، الاستيعاب لابن عبد البر . الإصابة لابن حجر . أسد الغابة لابن الأثير .

٦ ـ أم رعلة القشيرية

لها حديث أورده المستغفِرى من طريق ، وأبو موسى من طريق آخر عن ابن عباس :

أن امرأة يقال لها : « أم رِعْلة القُشيْرية » وفدت على النبى ﷺ ، وكانت امرأة ذات لسان وفصاحة فقالت :

السلام عليك يا رسول الله ، ورحمة الله وبركاته ..

إنا ذوات الخُدُور[1] ..

ومَحَلّ أُزُر البُعُول[2] ..

ومُرِبّيَاتُ الأولاد ..

ولاحَظّ لنا فى الجيش ..

فعلّمنا شيئا يقربنا إلى الله – عز وجَلّ .

فقال :

« عليكن بذكر الله آناء الليل وأطراف النهار وغضّ البصر .. وخفض الصوت .. » .

وفيه قالت : يا رسول الله ، إنى مُقَيِّنة[3]، أُقَيِّن النساء وأزينهن

---

(١) الخدُور : جمع خِدر ، وهو السِّتر يمد للمرأة فى ناحية من البيت .

(٢) البعول : جمع بعل : الزوج ، والأزر جمع إزار ، وهو ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن يذكر ويؤنث .

(٣) مُقَيِّنة : مزينة للنساء .

لأزواجهن ، فهل هو حُوبٌ[1] فأتَبَط عنه[2]؟!

فقال لها رسول الله ﷺ :

« يا أم رِغْلة ، قَيِّنيهن ، وزيِّنيهن إذا كسَدن » .

لقد غابت حياة الرسول ﷺ ثم أقبلت فى أيام الرِّدّة بعد وفاة النبى ﷺ إلى المدينة ، فحزنت عليه حزنا شديداً ، وأخذت بالحسن والحسين تطوف بهما أزقة المدينة وهى تبكى بكاء مُرّاً ، ترثيه برثاء مؤلم منه :

يا دار فاطمة المعمور ساحتها هيجتِ لى حُزناً حُيِّيت من دار !

فهاجت المدينة مأتما فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وأهلها يبكون*!

وفى قصتها دروس وعظات بالغات :

إنها تبدأ بتحية الإسلام ..

وتحدد دور النساء : ذوات الخدور .. محل أُزُر البعول .. ومربيات الأولاد ..

لكنها تأسى لعدم اشتراكها فى الجيش ، وتسأل الرسول ﷺ أن يعلمها ما يعوضها عن هذه المنزلة التى يحظى بها الرجال ، ويقربها إلى الله - عز وجَلّ - .

وخير ما يقربهن إلى الله .. ذكره آناء الليل وأطراف النهار وغض البصر .. وخفض الصوت .

ونجد فى قصتها وفاء وانتماء وولاء للبيت النبوى .. أليست نموذجا للنساء الخيرات ؟

---

(١) حُوبٌ : الإثم . وقد جاء فى التنزيل : ﴿إنه كان حُوباً كبيراً﴾ .

(٢) يقال : ثبطَه عن الشىء : عوّقه وبطّأ به . ومنه فى التنزيل العزيز : ﴿ولكن كره الله انبعاثهم فثبّطهم﴾ .

(*) أسد الغابة لابن الأثير . والإصابة لابن حجر .

سادساً

المرأة المسلمة مهاجرةً

- أم سـلمة – رضى الله عنها .
- أم حبيبة – رضى الله عنها .
- أسماء بنت عميس .
- ليلى بنت أبى حثمة بن حذيفة .
- الشفاء بنت عبد الله القرشية .
- فاطمة بنت قيس القرشية .

مهاجرات مضحيـات

ذكريات كفـاح

تألقت فى تاريخ المرأة المؤمنة أسماء نساء هاجرن إلى الله ورسوله !!

وبقيت ذكريات كفاحهن ونضالهن نوراً يضىء الطريق لكل مسلمة هدفها أن تجمع بين عزة الدنيا ونعيم الآخرة .

وقد روى عن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « **إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى .. فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله .. ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه** »[1].[متفق عليه]

وإليك نماذج من أولئك المهاجرات المضحيات ..

(١) اتفق عليه الشيخان : البخارى ومسلمٌ من صحابى واحد ، وهذا النوع أعلى أنواع الحديث فى الصحة والقبول .

وكان مشايخنا يستحبون البداءة به فى الكتب تنبيها للطالب على تصحيح النية . وهو أصل عظيم من أصول الدين ، وقاعدة كبيرة من قواعد الشرح المبين .

١ ـ أم سلمة

أم المؤمنين

كان أول المهاجرين : « أبو سلمة ، وزوجه ، وابنه » ، فلما عزم على الخروج قال له أصهاره :

هذه نفسُك غلبتَنَا عليها ، أرأيت صاحبتَنا هذه ؟ علام نتركك تسير بها في البلاد ؟!

وأخذوا منه زوجته ، فغضب آل أبى سَلَمة لرجلهم ، وقالوا : لا نترك ابننا معها ، إذ نزعتموها من صاحبنا ! وتجاذبوا الغلام بينهم ، فخلعوا يده ، وذهبوا به ! وانطلق أبو سَلَمة وحيداً إلى المدينة !

فكانت « أم سلَمة » - بعد ذهاب زوجها وضياع ابنها - تخرج كل غداة بالأبطح ، تبكى حتى تُمسى نحو سنة !

فرَقَّ لها أحد ذويها وقال :

ألا تُخرجون هذه المسكينة ؟!

لقد فرقتم بينها وبين زوجها وولدها ، فقالوا لها : الحقى بزوجك إن شئت ؛ فاسترجعت ابنها من عصبته وهاجرت إلى المدينة !!

لم تكن هذه هى الهجرة الأولى لأبى سلمة وزوجه هند ..

إن لهما ماضيا مجيدا فى الإسلام فقد كانا من السابقين الأولين ، وهاجرا معا إلى الحبشة حيث ولدت هناك ابنهما « سلمة » .

ثم قدما مكة حتى ضاقت بالمسلمين وألحت فى اضطهادهم وهاهى ذى تلحق بزوجها بعد أن حيل بينه وبينها ..

وضعت ابنها فى حجرها ، وركبت بعيرها إلى المدينة المنورة تريد زوجها ،

وما معها أحد من خلق الله ، حتى إذا كانت بالتنعيم – على فرسخين من مكة – لقيت عثمان بن طلحة فقال :

أين يا بنت أبي أمية ؟

قلت : أريد زوجي بالمدينة .

فقال : هل معك أحد ؟

فقلت : لا والله ، إلا الله ، وابني هذا .

فقال : والله مالك مَتْرك !

وأخذ بخطام البعير فانطلق معي يقودني ، فوالله ما صحبت رجلا من العرب أراه أكرم منه[1].

إذا نزل المنزل أناخ بي ، ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها ، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه ورحله ، ثم استأخر عني وقال : اركبي .

فإذا ركبت واستويت على بعيره أتى فأخذ بخطامه ، فقاد حتى ينزل بي ، فلم يزل يصنع بي ذلك حتى قدم بي المدينة . فلما نظر إلى قرية بني عمرو ابن عوف بقباء – وكان بها منزل أبي سلمة في مُهاجَره – قال : إن زوجك في هذه القرية ، فادخليها على بركة الله ، ثم انصرف إلى مكة[2].

فكانت أم سلمة – بين المهاجرات – أول ظعينة دخلت المدينة ، كما كانت أول مسلمة هاجرت إلى الحبشة[3].

وكذلك كان زوجها أبو سلمة ، عبد الله بن عبد الأسد المخزومي أول من هاجر إلى يثرب من أصحاب رسول الله ﷺ .

وفي المدينة عكفت على تربية صغارها ، وتفرغ زوجها لمعركة الإسلام .

ولما خرج الرسول ﷺ في غزوة ذي العشيرة في جمادى الأولى من السنة

(١) كان عثمان يومئذ على كفره ، وإنما أسلم في هدنة الحديبية ، وهاجر قبل الفتح مع خالد بن الوليد ، فلما فتحت مكة ، دفع الرسول إليه مفاتيح الكعبة وإلى ابن عمه شيبة بن عثمان بن أبي طلحة . وقتل عثمان شهيدا بأجنادين في خلافة عمر – الروض الأنف : ١/٢٨٥ .

(٢) السيرة ٢/١١٢ ، والإصابة ٨/٢٤٠ ، والاستيعاب : ٤/١٩٣٩ .

(٣) الإصابة : ٨/٢٤٠ ، والاستيعاب : ٤/١٩٣٩ .

الثانية للهجرة ، وهى السنة التى وادع فيها بنى مدلج وحلفاءهم بنى ضمرة — اختار أبا سلمة من بين أصحابه ، فاستعمله على المدينة .

وشهد مع الرسول ﷺ غزوة بدر الكبرى ، وعقد له الرسول ﷺ لواء سرية لإخضاع بنى أسد عدتها مائة وخمسون رجلا وكان تحت لوائه : أبو عبيدة بن الجراح ، وسعد بن أبى وقاص . وحقق الفارس أبو سلمة ما أمره به النبى ﷺ من أخذ العدو على غِرّة ، وقاد معركة ظافرة ، وعاد غانماً .

وكان أبو سلمة يقود معركته ، وفيه جرح خطير أصابه يوم « أحد » ثم التأم التئاماً سطحياً ، فلما أجهده النضال مع بنى أسد ، عاد الجرح فنغر ، وظل به حتى قضى عليه .

وحضره النبى وهو على فراش موته ، وبقى إلى جانبه يدعو له بخير حتى مات ، فأسبل بيده الكريمة عينيه ، وكبر عليه تسع تكبيرات ، قيل له : يارسول الله ، أسهوت أم نسيت ؟

فأجاب : « **لم أسه ولم أنس ، ولو كبرت على أبى سلمة ألفا ، كان أهلا لذاك** »[٢]

وترك من بعده « أم سلمة ، هند بنت زاد الركب » أولى المهاجرات إلى الحبشة ثم إلى المدينة .

وتقدم إليها أبو بكر وعمر خاطبين فرفضت فى رفق !

ومن بعدهما بعث إليها النبى يخطبها فتمنت لو يتاح لها ذلك الشرف العظيم لكنها اعتذرت وقالت : إنها غَيرى ، مسنة ، ذات عيال ..

فأجاب محمد — عليه الصلاة والسلام :

« **أما أنك مسنة ، فأنا أكبر منك ، وأما الغيرة فيذهبها الله عنك ، وأما العيال فإلى الله ورسوله** »[٣].

وتم الزواج ..

---

(١) السيرة : ٢/١١٢ .

(٢) تاريخ الطبرى ٢/١٧٧ ، والإصابة : ٨/٢٤٠ .

(٣) السّمط الثمين : ٨٩ — وقد زوج النبى «سلمة» بنت [illegible] حمزة . نسب قريش ٣٣٨ .

هذه قصة هجرة أحد أصحاب رسول الله ﷺ وزوجه إحدى الصحابيات الجليلات أردت أضعها كاملة أمام القارىء ليدرك كم كانت تضحية أبى سلمة ، وكم تحمل آل أبى سلمة من المتاعب النفسية !

رجل يفرق بينه وبين زوجه وبين ولده !

وزوجةٌ مسلمة يُفَرّق بينها وبين زوجها ووليدها ..

ثم طفل برىء يفرّق بينه وبين أبيه وأمه ..

والقصة بدون تعليق تنطق بما عاناه آل بنى سلمة ، وحسبنا ما قالته أم سلمة : « ما أعلم أهل بيت فى الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة !! » .

إن أم سلمة لم يفتها أن تُشِيد بأنبل موقف لعثمان بن طلحة ، إنه موقف ينم عن مروءة وشهامة ونبل ورجولة على الرغم من أنه لم يكن مسلماً آنذاك !

إن كفره لم يمنع أم سلمة من أن تعترف له بالفضل ، وتقر له بالوفاء ، فالعربى كان ولا يزال من أبرز صفاته : النبل والشهامة والمروءة والرجولة !

ولا يفوتنا أن نحدثك عن عبقرية أم سلمة فى الإسلام .

❖ أم سلمة ودور القدوة العملية فى التربية

كل المؤرخين الإسلاميين تحدثوا عن عبقرية أم سلمة الفريدة عندما هبط المسلمون على مشارف مكة ، ونزلوا عند الحديبية على بعد أميال من مكة ، وفى قلوبهم ذلك الأمل الحلو .. أن يطوفوا بالبيت العتيق !

ولكنهم عندما رأوا ناقة رسول الله ﷺ تبرك وسمعوا رسول الله ﷺ يقول : « **لقد حبسها حابس الفيل** » - عندئذ - راحوا يفكرون :

هل يمنعون من دخول البيت الحرام ؟!

وهل سيعودون مقهورين دون أن يدخلوا مكة ؟!

وقطع عليهم هذا التساؤل نداءُ الرسول ﷺ فيهم : « **قوموا فانحروا ثم احلقوا** » !!

ولكن كيف يعودون بلا طواف ولا سعى ولا عمرة ؟! إن الأمل الحلو كان يداعب أفئدتهم .. لكن رسول الله ﷺ يأمرهم أن يتحللوا من إحرامهم !! ولكن المسلمين قد أصابهم الوجوم فلم يحركوا ساكناً لقد أوقعتهم المفاجأة فى دهشة وحَيرة ملكت عليهم عقولهم وأفئدتهم !

وهنا يدخل الرسول ﷺ على زوجه « أم سلمة » أم المؤمنين ويذكر لها ما لقى من الناس : لقد قال لهم : « **قوموا فانحروا واحلقوا فوالله ما قام منهم أحد** » .

وتفتق ذهنها عن عبقرية قَلَّ نظيرها فى التاريخ !

قلت : « يا نبى الله ، أتحب ذلك ؟ آخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بُدْنك ، وتدعو حالقك فيحلقك » .

إن الأمر اللفظى لم يحرك ساكن أحد ، فليكن الأمر العملىّ .. إنه هو الذى يحسم الموقف .

فخرج ﷺ فلم يكلم أحدا حتى فعل ذلك .. نحر بُدْنه ، ودعا حالقه

فحلقه . فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضا » .

[حديث صحيح وهو من تمام قصة الحديبية عن البخارى وأحمد]

فياله من درس تربوى خالد فقهناه من أم سلمة – رضى الله عنها – خريجة بيت النبوة – عن دور القدوة العملية فى التربية .

٢ - أم حبيبة بنت أبى سفيان

من كرام من هاجر إلى الحبشة من النساء المسلمات بنت رجل من أكبر المعاندين والمعادين للدعوة آنذاك : « أم حبيبة بنت أبى سفيان » تاركة أباها وأمها وأخواتها والعز والمنعَة فى ظلهم ، ماضيةً إلى أرض الغربة والوحشة والنَّأى مع زوجها عبيد الله بن جحش .

وقد أَلِفْنَا أن تترك المرأة أهلها مرضاة لزوجها ، ولكننا لم نألف أن امرأة تعيش غربتها وحيدة بلا أهل ولا زوج حفاظا على دينها .

لقد تنصر زوجها ، ودعاها إلى النصرانية ، فرفضته وقاطعته ، ولم تتخلّ عن دينها وهى فى غربتها بلا أهل !

وظلت تعانى آلام الغربة القاتلة ، وآلام الترمّل ، وآلام الوحدة والوحشة ، لا يجمعها مع مهاجرى الحبشة إلا رابطة العقيدة ، بينما أبوها سيد مكة وصاحب الكلمة النافذة ، والرأى المطاع ، لكنها ترفض حِمَاه ، وتأوى إلى حِمى الله ورعايته صابرة صادقة مجاهدة ، وكفى بالله وليًا ، وكفى بالله نصيراً !!

إنها مثال للمرأة المسلمة تقف ضد زوجها يوم يحمل عقيدة غير عقيدتها ، ودينا غير دينها ، فتماريه ولو كان زوجها ، وتقف معاكسة له فى طريقه .

وسيظل هذا شأن المرأة المسلمة ضد زوجها يوم يدعوها للانحراف والمعصية !!

يوم يدعوها إلى معصية الخالق ، فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق أيا كان !

يوم يدعوها للزينة الآثمة أمام الآخرين ..

يوم يطلب منها التبرج فى الطريق ..

يوم يدعوها إلى حضور الليالى الحمراء فى المواخير والمراقص والملاهى .

يوم يدعوها إلى رؤية الأفلام الماجنة .. إنها تمثل عنصر الاستقامة فى البيئة الفاسدة .. إن ابنتها الوحيدة « حبيبة » هى رفيقتها فى غربتها .. لا سبيل لها إلى أرض الوطن وهناك أبوها يعلنها حربا شعواء على النبى ﷺ .

ومرت حقبة من الزمن وهى فى عزلتها الحزينة حتى شعرت ذات يوم بجارية من جوارى النجاشى تطرق بابها مستأذنة .

لقد كانت تحمل رسالة النجاشى : « إن الملك يقول لك : وَكِّلى من يُزَوِّجُك من نَبِىِّ العرب ، فقد أرسل إليك يخطبك » .

واجتمع المسلمون فى المساء بقصر النجاشى ليشهدوا إعلان الخِطْبة والزواج ، وتلقت أم حبيبة التهانى والهدايا . وأصبحت أما للمؤمنين .

واحتفلت المدينة المنورة فيما بعد بدخول بنت أبى سفيان بيت الرسول ﷺ ..

ولقد آلمها أن تظل الحرب دائرة بين زوجها وأبيها . وكان كل أملها أن يتحقق وعد ربها : **﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودةً والله قدير والله غفور رحيم ﴾** [الممتحنة : ٧]

وتم فتح مكة .. وأعلن أبو سفيان إسلامه ، وبعث أبو سفيان من نادى فى مكة : « من دخل دار أبى سفيان فهو آمن » وعادت الفرحة تغمر قلب « رملة » وسجدت لله شاكرة .

وفى مدينة الرسول ﷺ لقيت ربها فى خلافة أخيها معاوية .

٣ - أسماء بنت عميس

ذات الهجرتين

أسلمت أسماء قبل دخول الرّسول ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم .. وبايعت الرسول ﷺ على السمع والطاعة ! وهاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب .

وقالت : يا رسول الله ، إن رجالا يفخرون علينا ويزعمون أن لسنا من المهاجرين الأولين !

فقال رسول الله ﷺ : **بل لكم هجرتان : هاجرتم إلى أرض الحبشة ونحن مرهنون بمكة . ثم هاجرتم بعد ذلك .**

وروت عن النبي ﷺ ستين حديثاً .

قال الدارقطني : انفرد بالإخراج عنها مسلم ، ولم يذكر عدد ما أخرج لها من الأحاديث .

وكان عمر بن الخطاب يسأل أسماء بنت عميس عن تفسير المنام ، ونقل عنها أشياء من ذلك ومن غيره .

ويقال : إنها لما بلغها قتل ولدها محمد بمصر قامت إلى مسجد بيتها ، وكظمت غيظها حتى شخب ثدياها دما[1]!!

وأخرج ابن السكن بسند صحيح عن الشعبي ؛ قال :

تزوج على أسماء بنت عميس ، فتفاخر ابناها : محمد بن جعفر ، ومحمد

(١) الإصابة ، طبقات ابن سعد ، الاستيعاب ، أسد الغابة ، سيرة ابن هشام ، سير النبلاء .

ابن أبى بكر ؛ فقال كل منهما : أنا أكرم منك ، وأبى خير من أبيك ، فقال لها على :

اقضى بينهما .

فقالت : ما رأيت شابًّا خيرا من جعفر ، ولا كهلا خيرا من أبى بكر ، فقال لها على :

فماذا أبقيت لنا*؟

* الإصابة – طبقات ابن سعد – الاستيعاب – أسد الغابة – سيرة ابن هشام .

٤ - ليلى بنت أبى حثمة بن حذيفة

من فواضل نساء عصرها .. أسلمت قديما وبايعت النبى ﷺ .

هاجرت الهجرتين جميعا مع زوجها « عامر بن ربيعة العنزى » ثم هاجرت إلى المدينة .

ويقال : إنها أول ظعينة دخلت المدينة فى الهجرة وصلّت إلى القبلتين .

وتقول « ليلى » : كان عمر بن الخطاب من أشد الناس علينا فى إسلامنا ، فلما تهيأنا للخروج إلى أرض الحبشة جاءنى عُمَر وأنا على بعيرى ؛ فقال :

إلى أين أمَّ عبدِ الله ؟!

فقلت : آذيتمونا فى دِينِنَا فنذهب فى أرض الله !

قال : صحبكم الله !

ثم ذهب فجاءنى زوجى : « عامر بن ربيعة » .

فقال لما أخبرته خبرهم : ترجين أن يسلم !

وهذا ابنها عبد الله بن عامر يحدثنا عن قيمة تربوية عظيمة نهديها إلى الأمهات اللاتى يسرفن فى الوعود لأبنائهن ولا يَصْدُقن فى شىء منها !

يقول ابن حجر فى الإصابة :

روى الليث بن سعد عن محمد بن عجلان : أن رجلا من موالى عبد الله بن عامر حدثه عن عبد الله بن عامر قال :

(*) المصادر : الإصابة

دعتنى أمى يوما ورسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – قاعد فى بيتنا فقالت : هَاكَ ، تعالَ أعطيك شيئاً .

فقال لها رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – ماذا أردت أن تعطيه ؟

فقالت : أعطيه : تمراً .

فقال : « **أما إنك لو لم تعطيه شيئاً كتبت عليك كذبة** » .

فَليحذر أولئك الذين يَعِدون ولا يوفون ، ويقولون ولا يصدقون أن يفقد أبناؤهم ثقتهم بهم !!

٨ - الشفاء بنت عبد الله ابن شمس بن خلف القرشية

أسلمت الشفاء قبل الهجرة ، وهاجرت إلى المدينة ، فكانت من المهاجرات الأُوَل ، وبايعت النبى ﷺ فكان ﷺ يأتيها ، ويَقيل عندها فى بيتها .

وقال لها النبى ﷺ : **« علمى حفصة رُقية النَّمِلة[1] كما علمتيها الكتابة »** وأقطعها رسول الله ﷺ داراً عند الكحالين ، فنزلتها مع ابنها .

وهى صحابية جليلة ذات عقل وفضل وسداد رأى ، كان عمر بن الخطاب يقدمها فى الرأى ، ويرضاها ، ويفضلها ، وربما ولاّها شيئا من أمر السوق .

روت عن النبى ﷺ ، وعن عمر بن الخطاب .

وروى لها أبو داود .

لقد كانت الشفاء كاتبة تكتب فى الجاهلية وها هى ذى تتولى فى الإسلام تعليم حفصة أم المؤمنين الكتابة .

ولعل شخصية الشِّفَّاء أعجبتك ، ولعل ما يسعدك أن نذكر لك حديثاً روته عن أفضل الأعمال .

فى المسند من طريق المسعودى كما جاء فى الإصابة :

عن الشِّفَّاء بنت عبد الله ، وكانت من المهاجرات – أن رسول الله ﷺ

(١) النَّمِلَةُ : قروح تخرج فى الجنب كما قال ابن قتيبة .

سئل عن أفضل الأعمال فقال : « **إيمان بالله ، وجهاد فى سبيله ، وحج مبرور** » .

قال ابن سعد : وكانت من عقلاء النساء وفضلائهن ، وكان رسول الله ﷺ يزورها ، ويقيل عندها فى بيتها ، و كانت قد اتخذت له فراشا وإزاراً ينام فيه ، فلم يزل ذلك عند ولدها حتى أخذه منه مروان بن الحكم[1].

---

(١) الاصابة ج ٨ ص ٧٢٧ .

٦ ـ فاطمة بنت قيس بن خالد
القرشية الفهرية

من المهاجرات الأوليات ..

كانت ذات حسن وجمال وعقل وكمال .

وكانت زوجة لأبى عمرو بن حفص بن المغيرة فطلقها .. فتقدم لخطبتها كثيرون منهم معاوية بن أبى سفيان فاستشارت النبى ﷺ فأشار عليها بـ « أسامة بن زيد » فتزوجت به فقالت :

« لقد اغتبطت بنكاحى إياه » .

وفى طلاقها ونكاحها سنن كثيرة مستعملة تناولتها كتب الحديث .

روت عن النبى ﷺ ٣٤ حديثاً .

لها حديث متفق عليه فى مسند عائشة . ولمسلم ثلاثة أحاديث .

وروى لها الجماعة ، وهى التى روت حديث السكنى والنفقة للمطلقة بتّةً[١]. وهى التى روت قصة الجسّاسة[٢].

لقد عاشت فى خدمة الدعوة . وحسبها أن أصحاب الشورى عند قتل عمر بن الخطاب قد اجتمعوا فى بيتها .

وأن بيتها شهد خطبهم المأثورة . قال الزبير : كانت امرأة نَجُوداً[٣].

إن كل واحدة من هؤلاء الصحابيات لا تخلو من جانب مشرق وضاء

---

(١) تاريخ الإسلام : «النفقة فى الطلاق والعدة» .

(٢) وهى دابة – زعموا – أنها تجس الأخبار وتكون فى الجزائر ، فتأتى بها الدجال،.. وهى المذكورة فى حديث تميم الدارى .

(٣) امرأة نجود : عاقلة نبيلة .

تسهم به فى نشر دينها وإعلاء شأنه ، ورفع رايته .

وإذا طاب لنا أن نتحدث عن الهجرة والمهاجرين والمهاجرات فإننا لا ننسى الدور الكبير الذى قام به الأنصار فى تهيئة الأمن والأمان للمهاجرين ..

لقد وسعتهم قلوبهم قبل أن تسعهم دورهم وأموالهم !

لقد نزل رجل ضيفاً على رسول الله ﷺ ، فأرسل إلى إحدى زوجاته : **هل عندك طعام ؟**

فقالت : والذى بعثك بالحق ما عندنا إلا ماء !

ثم قال لأصحابه : **من يستضيف هذا الرجل ؟**

فقام رجل من الأنصار ، وقال : أنا أُضيفُه يا رسول الله !!

فأخذ بيده إلى داره ، وقال لزوجته : أكرمى ضيف رسول الله ﷺ .

فقالت : وهل عندنا إلا ما يكفى أولادنا ؟!

فقال لها : أنيميهم ، فإذا أعددتِ الطعام فأطفئى السراج ، ثم وضع الطعام أمام الرجل ، فجعل يأكل حتى شبع !

وبات الأنصارى وزوجته طاويين !

ولما أصبح الصباح ، قال له رسول الله ﷺ : **« لقد عجب الله من صنيعك ، فأنزل قوله : ﴿ والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويُؤْثرون على أنفسهم ، ولو كان بهم خَصَاصَة ، ومن يُوقَ شُحّ نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾** [الحشر : ٩]

[رواه البخارى ومسلم والنسائى]

سابعاً

المرأة المسلمة مجاهدة

- نسيبة بنت كعب الأنصارية .
- أم حبيب بنت العاص القرشية
- أم حرام بنت ملحان .
- حمنة بنت جحش الأسدية .
- هند بنت عمرو بن حرام .
- سمية أم عمار .

مجاهدات فدائيات !

المرأة والمشاركة الإيجابية

من يتأمل صفحات تاريخنا الإسلامى يجد أن المرأة المؤمنة قد شاركت خلال مراحل النضال فى معارك مختلفة مشاركة إيجابية فعالة غير مكتفية بالغضب ، أو الشكوى ، أو المقاومة السلبية .

وإننا لنراها فى كل معركة تقف بنفسها على تفقد الجرحى ، ومداواتهم بنفسها ، وتُعَايشهم فى مشاكلهم حتى لكأنها أم المجاهدين .

لقد كانت عنصرا إيجابيًّا ناشطا قادرا على المشاركة فى تحمل المسئوليات فأدّت واجبها في ميادين النضال والكفاح على أكمل وجه وأتمه ، تعمل بين طعنات الرماح وضربات السيوف ، وتساقط النبال كالمطر على المسلمين لإيصال الغذاء والدواء والسقاء للمقاتلين .

لقد كانت تقوم بالحراسة ، وإعداد الزاد والعتاد ، وتقف مرابطة خلف الصفوف المناضلة تَسقى العطشى ، وتداوى الجرحى ، وتمرض المرضى ، ثم تشترك فى المعركة عندما يدعو الداعى .

وحسبها فخرا أنها كانت أول شهيدة فى الإسلام ، فما كان أول شهيد رجلا ، ولكنها كانت السيدة سمية رضى الله عنها وأرضاها[1].

وها هى ذى نماذج منهن كن حول الرسول ﷺ .

---

(١) أسد الغابة ج ٧ ص ٢٥٩ .

١ ـ نسيبة بنت كعب الأنصارية

أم عمارة

من واجب كل منا أن يسائل نفسه بين الحين والحين : ما المبادرات التى قمت بها لإعلاء دينى ورفع رايته ؟ وأين أنا من أولئك السابقين الذين بايعوا رسولُ الله ﷺ على السمع والطاعة ؟ هل أحذو حَذْوَهم ؟ وهل أُضَحّى بالنفس والمال كتضحياتهم ؟ وماذا قدمت لله ورسوله ؟

إن مثل هذا التساؤل يُرينا أين نحن على الطريق .. وعندئذ نواصل المسيرة ، أو نُعَدّل المسار !

لا يكفي أن يكون أحدنا عضوا منتسبا إلى ا لإسلام ، بل لابُدّ أن يكون عضوا عَاملاً نافعاً ينفع نفسه ، وينفع أمته ، يلبى نداء الواجب .

إن أم عُمارة مثل من أمثلة الشجاعة الدائمة فى كل موقف .. إنها صورة للبطولة المتجددة التى لا تتخلى عن واجبها حين يدعوها الواجب !!

كل هدفها أن تجمع بين عزة الدنيا ونعيم الآخرة !!

إنّها صحابية جليلة ..

كانت إحدى امرأتين انضمتا إلى سبعين رجلا من الأنصار لمبايعة النبى ﷺ فى بيعة العقبة الثانية .. وكان معها زوجها زيد بن عاصم . وابناها منه : حبيب الذى قتله مسيلمة بعد ، وعبد الله ، وهو راوى حديث الوضوء . أما المرأة الثانية فهى أختها !

وإن دل موقفها على شيء فإنما يدل على شجاعة القلب ، ومروءة النفس ، وصدق البَلاء ، وسرعة النجدة ، وليس أدل على ذلك مما قاله الرسول ﷺ آنذاك لمبايعيه :

« الدَّمَ الدَّمَ ، والهَدْمَ الهَدْمَ ! »[1].

« أنتم منى ، وأنا منكم ، أسالم من سالمتم ، وأحارب من حاربتم »[2].

تلك كانت البداية !!

ويلخص ابن سعد فى طبقاته صورة رائعة لمبادراتها فيقول :

« أسلمت أم عُمارة ، وحضرت ليلة العقبة ، وبايعت رسول الله ﷺ ، وشهدت أُحُداً والحديبية وخيبر ، وعُمْرة القَضِيّة ، وحُنَيْناً ، ويوم اليمامة ، وقُطِعَت يدُها ، وسمعت من النبى ﷺ أحاديث » .

ولندع نسيبة تحدثنا عن مبادراتها كما رواها ابن سعد :

قالت أم عُمارة نَسيبة بنت كعب شهدت عقد النبى ﷺ البيعة له ليلة العقبة ، وبايعت تلك الليلة مع القوم .

وتقول عن موقفها يوم أحد :

خرجت أول النهار إلى أُحُد ، وأنا أنظر ما يصنع الناس ، ومعى سِقَاء فيه ماء ، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو فى أصحابه ، والدولة والريح للمسلمين .

فلما انهزم المسلمون انحزْتُ إلى رسول الله ﷺ فجعلت أباشر القتال ، وأذُبُّ عن رسول الله ﷺ بالسيف ، وأرمى بالقوس ، حتى خلصَت إلىّ الجِراح !

وتسألها أم سعيد بنت بن ربيع راوية الحديث عن ذلك الجرح الذى رأته على عاتقها غائرا أجوف فتقول :

أقبل ابن قميئة ، وقد ولّى الناس عن رسول الله ﷺ ، يصيح : دُلّونى على محمد ؛ فلا نجوتُ إن نجا !!

فاعترض له مصعب بن عمير وناس معه كنت فيهم ، فضربنى . يقول

---

(١) حديث صحيح رواه ابن إسحق فى المغازى (١/٢٧٣-٢٧٦) عن ابن هشام وأحمد (٣/٤٦٠-٤٦٢) وابن جرير فى تاريخه (٢/٩٠-٩٣) من طريق ابن إسحق .

(٢) وأما قوله فى آخر القصة : أنتم منى وأنا منكم فأخرجه ابن إسحق (١/٢٧٧) عن عبد الله ابن أبى بكر مرسلا فهو ضعيف ، ورواه ابن جرير (٢/٩٣) من طريق ابن إسحق .

عنها الإمام الذهبى :

هى الفاضلة المجاهدة الأنصارية الخزرجية النجارية المازنية المدنية . كان أخوها عبد الله بن كعب من البدريين .

وكان أخوها عبد الرحمن من البَكّائين .

شهدت أم عمارة ليلة العقبة ، وشهدت : أحداً ، والحديبية ، ويوم حُنَين ، ويوم اليمامة ، وجاهدت وفعلت الأفاعيل .

رُوِى لها أحاديث ، وقُطِعَت يدها فى الجهاد !

ويقول الواقدى :

شهدت أحدا مع زوجها ، ومع ولديها من زوجها الأول .

خرجت تسقى ، ومعها شَنّ[1] ، وقاتلت وأبلت بلاء حسنا وجرحت اثنى عشر جُرحًا .

ويروى الإمام الذهبى عنها أنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لمُقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مُقام فلان وفلان** » .

ويقول ابن سعد : وكان يراها يومئذ تقاتل أشد القتال ، وإنها لحاجزة ثوبَها على وسطها ، حتى جُرحت ثلاثة عشر جُرحًا ، وكانت تقول : إنى لأنظر إلى ابن قميئة وهو يضربها على عاتقها ، وكان أعظم جراحها ، فداوته سنة ، ثم نادى منادى رسول الله ﷺ : إلى حمراء الأسد ، فشدت عليها ثيابها ، فما استطاعت من نزف الدم ، رضى الله عنها ورحمها .

ويروى ابن سعد على لسانها قالت :

رأيتنى ، وانكشف الناس عن رسول الله ﷺ ، فما بقى إلا فى نُفَيْر ما يتمون عشرة ، وأنا وابناى وزوجى بين يديه نَذُب عنه ، والناس يمرون منهزمين ، ورآنى ولا تُرس معى ، فرأى رجلا مُوَلّيا ومعه تُرس ، فقال لصاحب الترس : ألْقِ ترسك إلى من يقاتل ، فألقاه ، فأخذتُه ، فجعلت أتترس به عن رسول الله .

---

(١) الشن : القربة الخلَق .

(٢) على ثمانية أميال من المدينة . (ياقوت) .

وإنما فعل الأفاعيل بنا أصحاب الخيل ، لو كانوا رجّاله مثلنا أصبناهم إن شاء الله .

فيقبل رجل على فرس فيضربني ، وتترست له ، فلم يصنع شيئاً ، وولّى ، فأضرب عُرقوب فرسه ، فوقع على ظهره ، فجعل النبي ﷺ يصيح : يابن أم عُمارة ، أمَّك ! أمَّك !

قالت : فعاونني عليه ، حتى أوردته شَعوبَ[1].

ويروى الإمام الذهبي على لسان ابنها عبد الله بن زيد قوله : جرحت يوما جرحاً ، وجعل الدم لا يرقأ ، فقال النبي ﷺ : اعصب جُرحك .

فتُقبل أمي إليّ ومعها عصائب في حِقْوها[2]، فربطت جرحي ، والنبي ﷺ واقف ، فقال : انهض فضارب القوم !، وجعل يقول :

من يُطيق ما تطيقين يا أم عمارة !

فأقبل الذي ضرب ابني ، فقال رسول الله ﷺ : **« هذا ضارب ابنك »** .

قالت : فأعترض له ، فأضرب ساقه ، فبرك .

فرأيت رسول الله ﷺ يبتسم حتى رأيت نواجذه ، وقال : **« استقدت[3] يا أم عمارة ! »**.

ثم أقبلنا نَعُلّه[4] بالسلاح حتى أتينا على نفسه ، فقال النبي ﷺ : **« الحمد لله الذي ظفرك »** [5]

دعاء النبي ﷺ لها ولولديها :

يروى الإمام الذهبي عن عبد الله بن زيد بن عاصم يقول : شهدت أُحُداً فلما تفرقوا عن رسول الله ﷺ دنوت منه أنا وأمي ، نَذُبُّ عنه ، فقال :

---

(١) أى قتلته . وشعوب : اسم من أسماء المنية .

(٢) الحقو : معقد الإزار . وفى الطبقات : «فى حقويها » .

(٣) استقدت : انتقمت .

(٤) أى نتابع ضربه بالسلاح .

(٥) للحديث بقية ذكرها ابن سعد .

ابن أم عُمارة ؟

قلت : نعم ،

قال : ارم .

فرميت بين يديه رجلا بحجر – وهو على فرس – فأصبت عين الفرس . فاضطرب الفرس ، فوقع هو وصاحبه ، وجعلت أعلوه بالحجارة، والنبى ﷺ يتبسم .

ونظر إلى جُرح أمى على عاتقها ، فقال : « **أمك ! أمك ! اعصب جرحها ! اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة !** » .

قالت : « ما أبالى ما أصابنى من الدنيا » ؟!

تلك هى أم عمارة رفعت لواء الدين ، ودافعت عن رسول رب العالمين ، جرحت بأُحُد اثنى عشر جرحًا ، فقدمت المدينة ، وبها الجراحة .

ولقد رئى أبو بكر – رضى الله عنه – وهو خليفة يأتيها يسأل عنها .

وأُتِىَ عمرُ بن الخطاب – رضى الله عنه – بمروط ، فيها مِرط[1] جيد ، فبعث به إلى أم عُمارة .

ومضت الأيام ، وظلت نسيبة تخدم الإسلام ، وتؤدى واجبها فى الحرب والسلام .

وشهدت مع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان وهى بيعة المعاهدة على الشهادة فى سبيل الله .

ولحق الرسول ﷺ بربه مع الرفيق الأعلى ، وظهر اللعين مسيلمة الكذاب ، ويهب الجميع لمحاربته وفيهم حبيب بن زيد بن عاصم ولد نسيبة ويقع حبيب فى يد مسيلمة أسيرا ، فيذيقه ألوان العذاب . ولكنه يظهر من الصبر والتجلد ما يخيب ظن مسيلمة فيه !

فيقول له مسيلمة : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟! فيقول حبيب : نَعَمْ .

فيقول له : أتشهد أنى رسول الله ؟ فيقول : لا أسمع ! فقطع مسيلمة

---

(١) كساء من خز أو صوف أو كتان .

جسم حبيب حتى مات !

وعندما علمت نسيبة بمصرع ابنها نذرت ألا يصيبها غسل حتى يقتل مسيلمة ، وخرجت إلى معركة « اليمامة » مع ابنها الآخر : عبد الله ، وكانت حريصة على أن تقتل مسيلمة بيدها ، ولكن القدر أراد أن يكون القاتل له : هو ابنها عبد الله الذى ثأر لشقيقه حبيب .

وقد ذكر الواقدي ما أبلته فى هذه الحرب فقال : « لما بلغها قتل ابنها حبيب على يد مسيلمة الكذاب عاهدت الله أن تموت دون مسيلمة أو تقتل ، فشهدت موقعة اليمامة مع خالد بن الوليد فقتل مسيلمة ، وقطعت يدها فى الحرب » . تقول أم عمارة : تقطعت يدى يوم اليمامة وأنا أريد قتل مسيلمة ، وما كان لى ناهية – أى مانع – حتى رأيت الخبيث مقتولا ، وإذا ابنى عبد الله بن زيد يمسح سيفه بثيابه ، فقلت له : أقتلته ؟

قال : نعم .

فسجدت لله شكرا .

ويقول المؤرخون إن « وحشيًّا » قاتل حمزة اشترك مع عبد الله فى قتل مسيلمة .

رحم الله نسيبة رحمة واسعة ، وهنيئا لها بهذا الرضا السامى ، ورضى الله عنها وأرضاها !

٦ - أم حبيب بنت العاص
القرشية

يقول ابن عساكر فى تاريخه عنها : هى مجاهدة جليلة ..

أُدركت عصر النبى ﷺ وشهدت اليرموك .. وحَضَّت الرجال على القتال ..

لما شد طرف من الروم على عمرو بن العاص انكشف هو وأصحابه حتى دخلوا أول المعسكر وهم فى ذلك يقاتلون ويشدون ولم ينهزموا هزيمة وَلّى فيها الظفر .

فنزلت النساء من التل بعُمُد يضربن وجوه الرجال .

وقادت أم حبيب الناس وهو تقول :

قبّحَ الله رجلا يفر عن حليلته ..!

وقبح الله رجلا يفر عن كريمته ..!

فترادّ المسلمون ..

وزحف عمرو وأصحابه حتى عادوا إلى قريب من موْقعهم !

أرأيت ماذا كانت تفعل النساء فى صدر الإسلام ؟!

أرأيت دورهن فى العمل على تحقيق النصر ؟!

[تاريخ ابن عساكر]

٣ - أم حرام بنت ملحان

خالة أنس بن مالك ، وأخت أم سُليم ، وزوجة عبادة بن الصامت وهى الأنصارية النجارية المدنية .

ويقول ابن حجر فى الإصابة :

قال أبو عمر - فى الاستيعاب - لا أقف لها على اسم صحيح ، وثبت ذلك فى صحيح البخارى وغيره عن طريق الموطأ لمالك عن إسحاق بن أبى طلحة ، عن أنس أن النبى ﷺ كان إذا ذهب إلى قُبَاء دخل على أم حَرَام بنت مَلْحان ، فتُطعمه ، فدخل عليها فأطعمته ، فنام ، ثم استيقظ وهو يضحك .. الحديث فى شهداء البحر ، وفى آخره : قال : فركبت « أم حرام » البحر فى زمن معاوية ، فصرُعت عن دابَّتها حين خرجت من البحر فماتت .

وفى بعض طرقه فى البخارى عن أنس ، عن أم حرام بنت ملحان ، وكانت خالته - أن رَسول الله ﷺ قال فى بيتها[1]، فاستيقظ وهو يضحك ، وقال :

عرض علىّ أناس من أمتى يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك على الأسرة » .

قالت : فقلت : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلنى منهم ، ثم نام فاستيقظ وهو يضحك ، فقلت : يا رسول الله ، مايُضحكك ؟

فقال : « عُرض علىَّ ناس من أمتى يركبون ظهر البحر الأخضر

---

(١) قضى وقت القيلولة حيث يشتد الحر ، وكانت تجمعها بأمه دار واحدة .

كالملوك على الأسرة » .

قلت : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلنى منهم .

قال : « **أنت من الأولين** » .

فتزوجها عبادة بن الصامت ، فأخرجها معه ، فلما جاز البحر ، ركبت دابة فصرعتها فقتلتها ! قال ابن الأثير فى « أسد الغابة » :

وكانت تلك الغزوة غزوة « قبرس » فدفنت فيها ، وكان أمير ذلك الجيش معاوية بن أبى سفيان فى خلافة عثمان ، ومعه أبو ذر وأبو الدرداء وغيرهم من الصحابة ، وذلك فى سنة سبع وعشرين .

روت عنه ﷺ خمسة أحاديث .

وأخرج لها منها فى الصحيحين حديث واحد متفق عليه[1].

ويقول الإمام الذهبى فى سير أعلام النبلاء :

حديثها فى جميع الدواوين سوى جامع أبى عيسى . كانت من عِلية القوم .

حدث عنها : أنس بن مالك ؛ وغيره .

ويروى الإمام الذهبى أيضاً عن أنس قال :

« دخل علينا رسول الله ﷺ ، ماهو إلا أنا وأمى وخالتى أم حرام ، فقال : « **قوموا فلأصلّ بكم** » ، فصلى بنا فى غير وقت الصلاة » .

(١) الإصابة (ج ٨ ص ١٨٩ - ١٩٠) .

٤ - حمنة بنت جحش الأسدية

أخت أم المؤمنين زينب .

كانت زوجَ « مُصعب بن عُمَيْر » فقُتِل عنها يوم أُحُد ! فتزوجها « طلحة ابن عبيد الله » ، فولدت له محمدا وعمران .

قال أبو عمر فى الاستيعاب :

كانت من المبايعات ، وشهدت أُحُداً ، فكانت تسقى العطشى ، وتحمل الجرحى ، وتداويهم .

وقال ابن سعد : أطعمها رسول الله ﷺ من خيبر ثلاثين وَسْقا .

وهى والدة محمد بن طلحة المعروف بالسجاد .

إن حمنة – رضى الله عنها – نموذج رائع للتضحية والفداء ..

وهى ابنة عم الرسول ﷺ .

وأمها أميمة بنت عبد المطلب .

ولقد كان موقفها فى « أُحُد » مما تزل دونه أقدامُ الرجال .. قال المؤرخون : إنها كانت تغشى المعركة فتحمل الجريح ، وتعود به حيث تأسو جراحه !

ولقد كانت « حمنة » رضى الله عنها مسلمة مثالية بكل ما فى الكلمة من معنى ..

(*) الإصابة ج ٧ ص ٥٨٦ . والوسق : مكيلة معلومة وهى ستون صاعا ، والصاع خمسة أرطال وثلث . وحمل البعير أو العربة والسفينة .

كانت مجاهدة صابرة محتسبة ، فقدت زوجها « مصعب بن عمير » فى هذه المعركة ، فرضيت بقضاء الله ، واحتسبته عنده !

وعوضها الله عنه « طلحة بن عبيد الله » أحد العشرة المبشرين بالجنة ، فولدت له السيد التقى محمد بن طلحة المعروف بـ « السجّاد » وتمر الأيام والأعوام فإذا الناس يذكرون حمنة ، ومصعبا ، وطلحة بكل الخير ..

لقد كانوا جميعا حول رسول الله ﷺ فى خدمة الدعوة الوليدة ، يرفعون راية الإسلام ، ويواجهون أعداءه وينشرون دعوته أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون !

إذا تحدث الناس عن نساء فى القمة فإن حَمنَة بنت جحش تتراءى لنا بينهن شامخة عالية القدر !!

قال ابن سعد فى الطبقات : أطعمها الرسول ﷺ من خيبر ثلاثين وسقا وهى والدة محمد بن طلحة المعروف بالسجّاد[1].

(١) الطبقات : ٨ ر ١٧٥ .

٥ - هند بنت عمرو بن حرام

زوجة عمرو بن الجموح

امتلأ قلبها بالإيمان وحب الدين الجديد .. فراحت تؤيد صاحب الرسالة وتحرض ذويها على قتال المشركين فى أحد . وكان زوجها سيدا من سادات بنى سلمة ، وشريفا من أشرافهم .

وعلى الرغم مما كان بزوجها من عرج - وليس على الأعرج حرج - فقد اندفع زوجها وراح يقاتل أعداء الله حتى استُشهِد !

واستشهد ابنُها خلاّد ، وأخوها عبد الله فحملتهم على بعيرها وأتت المدينة لتدفنهم ! ولحتها أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - فقالت لهند : « عندك الخير .. ما وراءك ؟ » .

قالت هند : « أما رسول الله ﷺ فصالح ، وكل مصيبة بعده جَلَل » (أى : صغيرة هينة) واتخذ الله من المؤمنين شهداء !!

قالت عائشة : من هؤلاء ؟

قالت : « أخى ، وابنى خلاّد ، وزوجى عمرو بن الجموح » .

قالت : فأين تذهبين بهم ؟

قالت هند : إلى المدينة أقبرهم فيها .

وزجرت أم خلاد البعير ليتابع مسيره ، فما استطاع ، فلما وجهته جهة الميدان تحرك وأسرع حتى بلغ مكان المعركة ، وهناك دفنهم الرسول ﷺ معا ، وقال لها : « **ياهندُ ، ترافقوا فى الجنة : عمرو بن الجموح ، وابنك خلاد ، وأخوك عبد الله** » .

ففرحت وقالت :

يا رسول الله ، « ادع الله أن يجعلنى معهم » .

ألا ما أكبر قلبك يا هند !، وما أعمره بالإيمان ! ومن ذلك الذى يحمل مثل هذا القلب فى دنيا الرجال ؟!

ياعجبا !! امرأة تفقد زوجها ، وابنها وأخاها فى يوم واحد ، فلا يرتجف لها قلب ، ولا تدمع لها عين ! إنه الإيمان بالله ورسوله لا مكان فى قلبها للحزن . فهو عامر بالله وحب الشهادة فى سبيله !

لقد كنت يا هند فى قمة الصبر والإيمان والثقة بما عند الله عندما ذكر الرسول ﷺ قتلاك فرحت تقولين : « يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلنى معهم » لست جازعة من الحياة ، ولكنك راغبة فيما عند الله !

وإن نعجب فعجب لهذه الأسرة المسلمة التى كانت هند ترعاها وتسهر عليها .

زوجها « عمرو بن الجموح » يفد على رسول الله ﷺ قبل غزوة أحد شاكيا له موقف أولاده منه ، إنهم يريدون منعه من الخروج نظرا لما به من عرج قائلين له :

إن الله قد وضع عنك الجهاد ، ولك عذرك !إنه مصاب فى رجله ، والقرآن يقول : ﴿ **ليس على الأعمى حرج ، ولا على الأعرج حرج ، ولا على المريض حرج** ﴾ [النور : ٦١]

ومادام الحرج قد ارتفع عنه ، فلا عليه إن هو لم يذهب إلى المعركة ولم يشترك فى القتال ! لكنه يصر على تحقيق رغبته ويذهب إلى رسول الله ﷺ قبل غزوة أحد فيقول :

يا رسولَ الله ، إن أولادى يريدون أن يحبسونى عن الخروج معك ، والله إنى لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه فى الجنة » .

وعرض الرسول ﷺ على أولاده أن يحققوا رغبته ، فاستجابوا ، وخرج ، ونال الشهادة !

وهنا قال الرسول ﷺ :

« **والذى نفسى بيده لقد رأيته وهو يطأ بعرجته فى الجنة** » !

لقد كان لعمرو أربعة أبناء يجاهدون معه !

فلنذكر دائماً هذه الأسرة المسلمة التى أسهمت فى رفع راية الإسلام .

وكيف تُنْسَى هند بنت عمرو بن حرام .. إنها شخصية لا تُنْسى !!

وتمر الأيام ويظل زوجها عمرو بن الجموح رمزا للجود والتضحية فى سبيل الله .

روى البخارى فى الأدب المفرد ، والسراج ، وأبو الشيخ فى الأمثال ، وأبو نعيم فى المعرفة عن جابر قال :

قال لنا رسول الله ﷺ : « **من سيدكم يا بنى سلمة ؟** »

قالوا : الجَدّ بن قيس ، على أننا نُبَخِّلُهُ . فقال بيده هكذا ، ومدّ يده ، وأى داء أدوأ من البخل ؟

بل سيدكم عمرو بن الجموح »[1].

قال : وكان عمرو بن الجموح يولم على رسول الله ﷺ إذا تزوج .

قال أحمد : « أتى عمرو بن الجموح النبى ﷺ فقال :

يا رسول الله ، أرأيت إن قاتلت فى سبيل الله حتى أقتل أمشى برجلى هذه فى الجنة ؟

قال : **نعم** . وكانت رجله عرجاء حينئذ .

وقال ابن أبى شيبة فى أخبار المدينة : « أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، أرأيت إن قاتلت حتى أقتل فى سبيل الله أمشى برجلى هذه فى الجنة ؟ » .

قال : **نعم** .

وكانت عرجاء ، فقتل يوم أحد هو وابن أخيه ، فمر النبى ﷺ به فقال :

« **فإنى أراك تمشى برجلك هذه صحيحة فى الجنة** »[2]

---

(١) الإصابة ج ٤ ص ٦١٥ .

(٢) الإصابة ج ٤ ص ٦١٧ .

وأمر رسول الله ﷺ بهما ومولاهما فجعلوا فى قبر واحد .

وكثيرا ما كان يردد ما أنشده له المرزبانى :

أتـــوب إلى الله سبحانـــــه   وأستغفـــر الله مـــن نـــاره
وأثنـــى عليــــه بآلائـــــه   بإعـــلان قلبـــى وإسراره

وستظل هند بنت عمرو بن حرام نموذجا لفواضل نساء عصرها ، يقول ابن سعد فى الطبقات .

أسلمت ، وبايعت ، وشهدت خيبر مع رسول الله ﷺ .

٦ - سمية
أم عمار بن ياسر

صورة مشرقة لأول شهيدة فى الإسلام !

زوج ياسر ، وأم عمار !

استطاعت بإيمانها أن تتحدى فرعون هذه الأمة « أبا جهل » . والكل يعلم من هو أبو جهل طُغْياناً وغِلْظَةً !

كانت هى وزوجها وابنها عمار قد أُلْقِيَ بأجسادهم فوقَ الرمال الساخنة ، لتتمكنَ السِّياطُ منها ، وهم مُوثَقُو الأيدى والأقدام حتى عجزوا عن الحركة تماما .

لكنهم لم ينزلوا أمام هذا التعذيب عند إرادة أبى جهل ، فلم يسمع من ياسر وابنه عمار غير الصمت والأنين فلا يسعه إلا أن يُضاعف التعذيب ليعلنا ارتدادهما عن دين الإسلام .

أما سمية فقد راحت تتحدى « أبا جهل » لا بالصمت والأنين ولكنها كانت ترد بعنف مؤكدة له أن لا أمل فى محاولته ، وأنها قررت أن تثبت على إيمانها مهما كان الثمن !

ألم تستمع إلى رسول الله ﷺ عندما مر بهم فى العذاب : « **صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة** » !!

إن كل عذاب يهون فى سبيل تلك الجنة !

ووجد أبو جهل نفسه وقد تحدته امرأة ضعيفة وهزت كبرياءه ، وأذلت أنفه !

فماذا يفعل ؟!

إن فى مواصلة التعذيب إطالة لهذا التحدى ، فلم لا يعاجلها بضربة قاضية ؟

وكتب لها أروع صفحة من الخلود ..

واستطاعت أول شهيدة فى الإسلام أن تجعل من موتها حياة للإيمان وللمثل وللمبادىء .

وكما كان موت سمية نموذجاً فذًا للبطولة كذلك كانت حياة الفئة المؤمنة فى أقسى الظروف وأعنف الأحوال نموذجا عالياً للبطولة النادرة .

يقول ابن حجر فى الإصابة :

كانت سُمَيّة بنتُ خُبَاط مولاة أبى حذيفة بن المغيرة بن مخزوم والدة عمار ابن ياسر سابع سبعة فى الإسلام ، عذبها أبو جهل وطعنها فى قُبُلِها ، فماتت ، فكانت أول شهيدة فى الإسلام .

وكان ياسر حليفا لأبى حذيفة ، فزوجه « سُمَيّة » فولدت له عماراً فأعتقه وكان ياسر وزوجته وولده منها ممن سبقوا إلى الإسلام .

ويقول ابن إسحاق فى المغازى :

حدثنى رجال من آل عمار بن ياسر أن سمية أم عمار عذبها آل بنى المغيرة على الإسلام ، وهى تأبى غيره حتى قتلوها ، وكان ﷺ يمر بعمار وأمه وأبيه وهم يُعذَّبون بالأبطح فى رَمْضَاءِ مكة فيقول : « **صبراً آل ياسر ، موعدكم الجنة** »[1].

وسوف تظل سمية رمزا للتضحية فى سبيل إعلاء كلمة الله ..

أليست كما يقول مجاهد : أول من أظهر الإسلام بمكة سبعة : رسول الله ﷺ وأبو بكر ، وبلالٌ ، وخَبَّابٌ ، وصُهَيْبٌ ، وعمّار ، وسُمَيّة .

فأما رسول الله ﷺ وأبو بكر فمنعهما قومهما . وأما الآخرون فأُلبسوا أدْراع الحديد ، ثم صُهِروا فى الشمس ، وجاء أبو جهل إلى سمية فطعنها بحربة

---

(١) فى ثبوت هذا السياق نظر : وعلته الإرسال . أخرجه ابن جرير فى تفسيره (١٢/١١٣) ، وأبو نعيم (٩/١٤٠) ، وأبو بكر الجصاص فى (أحكام القرآن) (٣/٢٣٦) من طريق أبى عبيدة بن محمد ابن عثمان بن ياسر ، وأخرجه الحاكم (٢/٣٥٧) .

فقتلها[1]

وتظل سمية رمزا للتضحية والفداء فى سبيل الله ، ويعيش عمار ليشهد قتل من قتل أمه ، فالقاتل يقتل ولو بعد حين .

أخرج ابن سعد بسند صحيح عن مجاهد قال :

أول شهيدة فى الإسلام « سمية » والدة عمار بن ياسر ، وكانت عجوزاً كبيرة ضعيفة . ولما قتل أبو جهل يوم بدر قال النبى ﷺ لعمار : « **قتل الله قاتل أمك** » .

ولعل مما يلفت النظر أن يكون أول من دخل الإسلام امرأة !

وأول من استشهد فى الإسلام امرأة !!

فأين أنت من هذا الشرف العظيم ؟!

---

(١) أخرجه أبو بكر بن أبى شيبة عن جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، وهو مرسل . صحيح السند كما جاء فى الإصابة .

ثامناً

المرأة المسلمة مداوية وآسية

- الرّبيع بنت معوذ .
- أم سنان الأسلمية
- أم زياد الأشجعية
- كعيبة بنت سعد
- أمية بنت قيس الغفارية
- رفيدة الأنصارية

آسيات مداويات

المرأة المسلمة فى الوغى !

من يتابع السيرة العطرة يجد أن نساء العرب فى الإسلام لم يَدَعْن لرجالهن خَلَّةً يستأثرون بها دونهن .

ولم يتركن سبيلا من سبل العظائم ، ولا باباً من أبواب المجد والمكارم إلا وكن السابقات إليه !

وإننا لنراهن قد جاذبن الرجال حبل البطولة ، واصطلين نيران الحروب فكن مؤيدات مناضلات !! وكم رأينا المرأة المسلمة تخوض الحرب لما دون القتال من إفاضة الرحمة ، وبذل المعونة ..

تخدم الجرحى وتقضى حقهم وتواسى فى الوغى من نكبا بيدها الآسية المداوية تخفف آلام الجراح ، وتمنح الثقة والطمأنينة لمن ذاقوا ويلات الحرب ، بما منحها الله من جلال الصبر ، وقوة الإيمان ، فإذا اشتملت الحرب العوان عليها رأيناها تفوق الأبطال وتناضل عن الرجال ! وإليك نماذج للآسيات المداويات .

١ ـ الربيع بنت معوذ

تحت شجرة الرضوان بايعت « الرُّبَيِّع » رسول الله ﷺ مع المبايعين :

وهي البَيْعة التي عاهد المسلمون فيها ربَّهم ورسولَهم على الموت في سبيل الله ، والتي قال الله فيها :

﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يُبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ﴾ [الفتح : ١٨]

كما قال تعالى : ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما ﴾ [الفتح : ١٠]

فوجبت لها كلمة الله جلّت كلمته .

قال أبو عمر[١]: كانت ربما غزت مع رسول الله ﷺ .

وقال ابن سعد[٢]: روت عن النبي ﷺ .

ويتجلى لنا ماكان للرُّبَيِّع من منزلة عند رسول الله ﷺ فيما رواه البخاري والترمذي وغيرهما عن الربيع بنت مُعَوِّذ ؛ قالت :

جاء النبي ﷺ فدخل عليّ غداة بُني بي ، فجلس على فراشي كمجلسك مني ، فجعلت جُوَيْرِيَات لنا يضربن بالدُّف ، ويندُبن من قُتِلَ من آبائي يوم بدر إذ قالت إحداهن : وفينا نبي يعلم ما في غد » .

---

(١) في الاستيعاب .

(٢) في الطبقات .

فقال لها : « دعي هذه ، وقولي بالذي كنت تقولين »[1].

وتتجلى منزلة الرسول ﷺ عندها فيما أخرجه ابن منده من طريق أسامة ابن زيد الليثي عن أبي عبيدة بن محمد ؛ قال : قلت للرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ : صِفي لي رسول الله ﷺ ، فقالت : « يابني ، لو رأيته لرأيت الشمس طالعة » .

ويتجلى دورها في المعارك فيما أخرجه البخاري والنسائي وأبو مسلم الكجّي عن الربيع بنت معوّذ قالت :

« كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ، ونسقي القوم ، ونخدُمُهم ، ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة » [لفظ مسلم]

وفي رواية البخاري : « نسقي الماء ونداوي الجرحى .. » الحديث .

أرأيت أيتها الأخت المسلمة كيف كرّمها الرسول ﷺ لما تزوجت ووقف إلى جانبها كما وقفت إلى جانب الدعوة ؟

أرأيت أنها كانت هي وفريقها يقمن بما يقوم به « سلاح الإمدادات » الآن ؟!

(١) صحيح البخاري : (باب ضرب الدف في النكاح والوليمة) مع فتح الباري ج٩ ص ١٠٩ - ١١١ قال ابن حجر العسقلاني : في هذا الحديث إعلان النكاح بالدف ، وبالغناء المباح ، وفيه إقبال الإمام إلى العرس ، وإن كان فيه لهو ما لم يخرج عن حد المباح .

٢ - أم سنان الأسلمية

امرأة من غِمَار أَسْلَم - وأَسْلَمُ بطن من خُزاعة - قَدِمت من باديتها إلى المدينة حين مقدم الرسول ﷺ إليها فبايعته .

ورافقت رسول الله ﷺ إلى خَيْبَر .

وهى التى مشطت صفية بنت حُيَىّ أم المؤمنين وأعدتها لتُزَفّ على رسول الله ﷺ .

لقد كانت - رضى الله عنها - مجاهدة جليلة فقد جاءت رسول الله ﷺ وهو خارج إلى « خيبر » فقالت : « يا رسولَ الله ، أَخْرُجُ معك فى وجهك هذا .. أخرِزُ السِّقاء ، وأداوى المريض والجريح إن كانت جراح - ولا تكون - وأُبْصِر الرَّحْل »[1].

فقال رسول الله ﷺ :

« أُخرجى على بركة الله ، فإن لك صواحبَ قد كلّمْننى وأذِنْتُ لهن من قومِك ، ومن غيرهم . فإن شئت فمع قومك ، وإن شئت معنا » .

فقالت « أم سنان » : معك .

قال : **« فكونى مع « أم سلمة » زوجتى ! »**

قالت : « فكنت معها . وشهدت فتح خيبر »[2].

---

(١) عن الواقدى فى المغازى ٦٨٧ .

(٢) الحديث فى المغازى ، والطبقات : ٨ - ٢١٤ ولمزيد من التفصيل يرجعُ إلى ترجمتها فى .
١ - طبقات ابن سعد ، ٢ - الاستيعاب لابن عبد البر ، ٣ - الإصابة لابن حجر .
٤ - ذيل تاريخ الطبرى .

وكانت تخرج مع رسول الله ﷺ إلى الجمعة والعيدين . وهى من اللواتى روين عن رسول الله ﷺ ..

وابنتها « ثُبَيْتَة » إحدى الثقات الفضليات من راويات الحديث .

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لامرأة يقال لها : أم سنان : « **ما منعك أن تكونى حججت معنا ؟** » قالت : ناضحان كانا لأبى فلان – تعنى زوجها – حج وابنه على أحدهما ، وكان الآخر يسقى أرضا لنا قال : « **فعمرة فى رمضان تقضى حجة أو حجة معى فإذا جاء رمضان فاعتمرى ، فإن عمرة فيه تعدل حجة** »[1].

(١) أخرجه الشيخان إلى قوله : «معى» والنسائى بتمامه .

٣ ـ أم زياد الأشجعية

مجاهدة مناضلة ، وقفت إلى جانب الجيش الإسلامى يوم خيبر .

أخرج حديثها أبو داود ، والنسائى ، وابن أبى عاصم . ورواه رافع بن سلمة عن زياد الأشجعى ..

أنها خرجت مع النبى ﷺ فى غزوة خيبر سادسة نسوة[1]، قال :

فبلغ النبى ﷺ فبعث إلينا ، فقال :

« بإذن مَنْ خرجتُن ؟ »

ورأينا فى وجهه الغضب ، فقلنا :

خرجنا ، ومعنا دواء نداوى به الجرحى ..

ونناول السهام .. ونسقى السويق .. وتغزل الشَّعْر .. ونُعين فى سبيل الله ..

فقال : « أقمن » .

فلما فتح الله عليه خيبر قَسَم لهن من التمر كما قسم للرجال* .

---

(١) الإصابة ج ٨ ص ٢١٢ .

(*) المراجع : أسد الغابة لابن الأثير ، والإصابة لابن حجر ، وتهذيب التهذيب لابن حجر . والحديث أخرجه أبو داود والنسائى وابن أبى عاصم كما جاء فى الإصابة .

٤ - كعيبة بنت سعد الأسلمية

بايعت النبى ﷺ بعد الهجرة .

وهى إحدى النجيبات المعدودات من طبيبات العرب ، ومن فواضل نساء عصرها !

لم يكن عملها الشريف مقصورا على مواقف الحروب !

بل كانت تداوى من أَلَمَّ به المرض فى كل آن .

كانت تقام لها « خيمة » فى المسجد ، تداوى فيها المرضى ، وتأسو الجرحى[1].

وكان « سعد بن معاذ » حين رمى يوم « الخندق » عندها تداوى جراحه ، حتى مات – رضى الله عنه –[2].

وتقديرا من الرسول ﷺ لجهودها فى خيبر أعطاها سهم الرجل المجاهد . رضوانُ الله عليها .

ألم تكن – بكل ما أوتيت – من حول الرسول ﷺ وفى خدمة الدعوة الوليدة ؟

من حق طبيبات اليوم أن يفخرن بها رائدة فى عالم « الطب والأطباء » !

وحق للممرضات أن يفخرن بها رائدة لهن !

---

(١) ابن سعد فى الطبقات : ٨-٢١٣ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) أبو عمر فى الاستيعاب .

٨ - أمية بنت قيس الغفارية

زعيمة الآسيات

هى فتاة من غِفَار ، قبيلة « أبى ذَرٍّ الغفارى » تسلل نور الإيمان إلى قلبها ، وهى مازالت فى طور الحداثة !

قدمت على رسول الله ﷺ تبايعه – على بعد المسافة – ولها أربعة عشر ربيعاً .

وراحت تتحين الفرصة المواتية لتسهم بعمل مّا فى خدمة الدعوة .

خرجت إلى خيبر[1] على رأس نسوة من غفار تتزعمهن وهى لم تبلغ المحيض تريد أن تقوم بما تقوم به البعثة الطبية فى ميدان القتال .

وتَلْقَى الرسول ﷺ ، فيُرْدِفُها خلفه فى مسيره .. ويُتاح لها أن تحسن القيام بما تقدمت ، وتَلْقَى من الرسول ﷺ مكافأة وتكريما !!

لقد قلدها الرسول ﷺ قلادة لم تغادر صدرها حتى ماتت ودفنت معها طبقا لوصيتها !

لقد أسلمت وبايعت بعد الهجرة وشهدت مع النبى ﷺ خيبر كما قال ابن سعد .

ألا تستحق أن يُفرِدَ لها التاريخ صفحةً من صفحاته ؟!

لقد كانت من حول الرسول ﷺ فى خدمة الدعوة .. راحت تخدم الجرحى وتقضى حقهم ، وتواسى فى الوغى من نُكِبَ !

---

(١) خيبر : ناحية على ثمانية بُرُد من المدينة لمن يريد الشام تشتمل على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير .

إن النياشين والقلائد فى القرن العشرين لتتضاءل أمام هذه القلادة العظيمة .

وحق لها ألا تغادر صدرها وقبرها !

وإذا كان كل منا سوف يُحشَر على ما مات عليه ، فإن أمية سوف تحشر ، وفى عنقها تلك القلادة التى تشهد لها عند ربها !!

لقد لقيت ربها وفى أذنها أصداء كلمات طاهرة كريمة : **﴿ إنا لا نُضيع أجرَ من أحسن عملا ﴾** [الكهف : ٣٠]

ولعلك اشتقت إلى مزيد بيان عنها .. وسوف أنقل لك صفحة من سيرة ابن هشام[1] لتعيشى مع طلائع الإيمان .. مع أمية بنت قيس الغفارية .

(١) وقد ترجم لها ابن سعد فى طبقاته ، وابن الأثير فى أسد الغابة .

صفحة من السيرة النبوية لابن هشام

يقول ابن هشام تحت عنوان : (شهود النساء خيبر وحديث المرأة الغفارية) قال ابن إسحاق :

حدثنى سليمان بن سحيم ، عن أمية بن أبى الصلت ، عن امرأة من بنى غفار ، قد سماها لى ، قالت :

أتيت رسول الله ﷺ فى نسوة من بنى غِفار ، فقلنا : يارسول الله ، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا ، وهو يسير إلى خيبر ، فنداوى الجرحى ، ونعين المسلمين بما استطعنا ، فقال : **« على بركة الله »** .

قالت فخرجنا معه ، وكنت جارية حدثة فأردفنى رسول الله ﷺ على حقيبة رَحْلِه[1].

قالت : فوالله لنزل رسول الله ﷺ إلى الصبح وأناخ ، ونزلت عن حقيبة رحله ، وإذا بها دم منى ، وكانت أول حيضة حضتها ، قالت : فتَقَبَّضْتُ[2] إلى الناقة واستحييت ، فلما رأى رسول الله ﷺ ما بى ورأى الدم ، قال : **مالك ؟ لعلك نُفِسْتِ**[3]، قالت : نعم . قال : **فأصلحى من نفسك ، ثم خذى إناء من ماء فاطرحى فيه مِلْحا ، ثم اغسلى به ما أصاب الحقيبة من الدم ، ثم عودى لمركبك .**

قالت : فلما فتح رسول الله ﷺ خيبر ، رضخ[4] لنا من الفىء ، وأخذ هذه القلادة التى ترين فى عنقى فأعطانيها ، وعلقها بيده فى عنقى ، فوالله لا تفارقنى أبدا » .

قالت : فكانت فى عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تدفن معها .

---

(١) حقيبة الرحل : مؤخرته .
(٢) أمسكت بها حياء لأخفى الدم .
(٣) نُفِسْتِ : حضت .
(٤) رضخ لنا : أعطانا عطاء يسيراً لم يصل إلى نصيب السهم .

قالت : « وكانت لا تطَهّر من حيضة إلا جعلت فى طهورها مِلْحا ، وأوصت به أن يجعل فى غسلها حين ماتت » .

وأراك تقولين : يالها من فدائية تغامر بخوض المعركة لتكون فى خدمة جيش المسلمين تداوى الجرحى ، وتعين جيش المسلمين بما استطاعت ، وهى تشهد فى طريقها إلى خيبر أول حيضة لها !

وأراك تقفين على سماحة الإسلام وتقدير القائد لكل الجهود ومكافأته عليها ماديا وأدبيا . وسوف تقولين : إنه الإسلام !

وإذا حلت الهداية قلبا نشطت للعبادة الأعضاء !

٦ ـ رفيدة الأنصارية أو الأسلمية

امرأة من قبيلة أسلم كانت تداوى الجرحى ممن ليس لهم من يقوم بعلاجهم فى خيمة لها بالمسجد النبوى .

ذكرها ابن إسحاق فى قصة سعد بن معاذ لما أصابه ما أصابه بالخندق ، فقال الرسول ﷺ :

« **اجعلوه فى خيمة رُفَيْدَة التى فى المسجد حتى أعودَه من قريب** » .

ثم يقول ابن إسحاق :

وكانت امرأة تداوى الجرحى ، وتحتسب بنفسها ، على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين .

وقال البخارى فى الأدب المفرد : حدثنا أبو نعيم : قال : « ولما أصيب أكحل سعد يوم الخندق فقيل : حولوه عند امرأة يقال لها : « رُفَيدة » وكانت تداوى الجرحى ، وكان رسول الله ﷺ إذا مر به يقول :

« **كيف أمسيت ؟** » وإذا أصبح قال : « **كيف أصبحت ؟** » فيخبره .

وأورده فى التاريخ بقصة وفاة سعد ، وسنده صحيح .

ومهما تحدثوا عن العلاج بالمجان فسوف تظل « رُفَيدة » رائدة على مر الزمان !

وفيها يقول الشاعر أحمد محرم فى ديوانه « الإلياذة الإسلامية » :

رفيدةُ : علمى الناس الحنانا ... وزيدى قومَك العالين شانا
خُذِى الجَرْحَى إليك فأكرميهم ... وطوفى حولهم آنا فآنا

وإن هجع النيام فلا تنامى عن الصوت المردّد حيث كانا

وتمر الأيام والأعوام وتظل خيمة « رُفَيْدَةَ » بالمسجد النبوى النمّوذَج الرائع للخدمات الطبية فى صدر الإسلام .

تاسعاً

المرأة المسلمة عالمة راوية للحديث

- الصديقة بنت الصديق .
- أم حميد امرأة أبى حميد الساعدى
- أم أنس والدة عمران بن أبى أنس .
- فاطمة بنت أبى أسد بن هاشم .
- أم معبد الخزاعية .
- أم سليم بنت ملحان .

راويات للحديث عالمات

نماذج منهن !

من يقلب صفحات التاريخ يجد أن النساء فى صدر الإسلام كان منهن معلمات فضليات انتفع بعلمهن مالا يحصى من الرجال والنساء !

ولا عجب ؛ فقد أقبلن على رواية الحديث إقبالاً عظيماً وروى عنهن الكثيرون والكثيرات .

فهَذا « ابن سعد » فى « طبقاته » يحدثنا عن سبعمائة امرأة روين عن رسول الله ﷺ ، أو عن بعض أصحابه .

وهذا « ابن حجر » فى كتابه « الإصابة فى تمييز الصحابة » يترجم لثلاث وأربعين وخمسمائة وألف من المحَدّثات ، ويشهد لهن بالعلم ويوثقهن .

وكان على رأسهن السيدة « عائشة أم المؤمنين » فقد ضرب بها المثل فى العلم ، حيث كانت تحدث الناس ، وتصحح للصحابة ، وتُفْتيهم ، بل وتستدرك على فتاواهم ، وأقوالهم ؛ حتى أن الإمام « بدر الدين الزركشىّ » ألّف كتابا سماه : « الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة » .

لقد لحق الرسول ﷺ بربه ، وعائشة أم المؤمنين لم تخْطُ إلى التاسعة عشرة ، على أنها ملأت أرجاء الأرض علما ؛ فهى فى رواية الحديث نسيج وحْدِها - فلم يكن بين أصحاب رسول الله ﷺ من كان أروى منها ، ومن أبى هريرة ، على أنها كانت أدقّ منه وأوثق .

وكانت من أنفذ الناس رأيا فى أصول الدين ، ودقائق الكتاب المبين .

وكان زعماء الصحابة إذا أشكلت عليهم الفرائض (المواريث) فزعوا إليها فكشفت غوامضها ، ووضحت ما كان خافياً .

ونبغ بفضل ذلك عدد كبير من النساء العربيات ، وبرزن فى علوم القرآن والحديث والفقه واللغة وشتى أنواع المعارف وليس أدل على ذلك من أن

« الحافظ الذهبى » المتوفى سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، وهو ثقة من ثقات المحدّثين ألّف كتابه « ميزان الاعتدال » فى نقد رجال الحديث خرج فيه أربعة آلاف متّهم من المحدّثين ، ثم أتبع قوله بتلك الجملة : « وما علمت من النساء من اتُّهمت ولا من تركوها »[1].

وعلى مر الزمان منذ عهد عائشة أم المؤمنين حتى عهد الذهبى نجد أن حديث رسول الله ﷺ ما حُفظ ولا روى بمثل ما حفظ فى قلوب النساء ، وروى على ألسنتهن !

ذلكم الحافظ ابن عساكر المتوفى سنة إحدى وسبعين وخمسمائة . أوثق رواة الحديث عقدة ، وأصدقهم حديثاً – حتى لقبوه بحافظ الأمة – كان من شيوخه وأساتذته بضع وثمانون من النساء[2]. فهل سمع الناس فى عصر من العصور ، وأمة من الأمم أن عالما واحدا يتلقى عن بضع وثمانين امرأة عِلْماً واحدا ؟! ذلك ما يجعلنا نفكر من جديد .. ونتساءل : أين نحن على الطريق ؟!

إن من واجب المرأة العربية فى عصرنا أن تعيد النظر فيما هى مقدمة عليه ، بعد أن تتابع خطوات الرائدات الأوليات !

وإليك طرفًا من حياة الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق كبيرة مُحَدِّثات عصرها .

---

(١) ميزان الاعتدال : ج ٣ ص ٣٩٥ .

(٢) طبقات الشافعية ج ٤ ص ٢٧٣ .

١ - عائشة بنت أبي بكر

أم المؤمنين

فى مقدمة من سجل التاريخ فضلهن فى النهضة الثقافية الفكرية منذ عصر النبوة أم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبى بكر - رضى الله عنهما - فقد وعى التاريخ من جليل أعمالها وعلمها وفضائلها ، ما يملأ النفوس إجلالاً لها ، وإعجاباً بها !

ولا غرو أن تبلغ عائشة ما بلغته من العلم والثقافة ، وبصيرة الفهم ، وأن تصبح مرجعا أساسيا من مراجع الحديث والسنة ؛ يأخذ عنها المسلمون ما فيه تمام دينهم ، فهى بنت الصديق فى أكثر خصاله ومناقبه ، وهى زوجة النبى ﷺ وأحب نسائه إليه .

دخلت المدرسة النبوية فى نحو التاسعة من عمرها ، ولبثت تسع سنين تتلقى عن الرسول ﷺ ، وتوفى عنها معلمها ورائدها - وهى فى ريعان الشباب، بعد أن تخرجت على يديه وتلقت عنه ، فكانت نابغة عصرها ، ومناراً يسترشد به الناس فى أمور دينهم ، ومرجعا من مراجع العلم ، ونابغة الفقهاء والمحدثين ، وعالمة غزيرة العلم ، وراوية من رواة الشعر النابهين .

وإذا كنا نجد الكثير من فضليات المؤمنات ، تملأ أخبارهن وأسماؤهن صحائف متعددة فى كتب طبقات المحدثين وغيرهم حتى لقد استغرقت أعلام المحدثات وأنباؤهن المجلد السادس من مسند الإمام أحمد بن حنبل إلا قليلا من صحائفه - فإن أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - تأتى فى مقدمتهن .

يقول الإمام الذهبى فى سير أعلام النبلاء فى ترجمته لها :

بنت الإمام الصّدّيق الأكبر خليفة رسول الله ﷺ أبى بكر عبد الله بن أبى قحافة .

وأمها هى أم رومان بنت عامر .

ثم يقول : هاجر بعائشة أبواها ، وتزوجها نبى الله ﷺ قبل مُهَاجَره بعد وفاة الصديقة خديجة بنت خويلد . وذلك قبل الهجرة ببضعة عشر شهرا ، ودخل بها فى شوال . مُنْصَرَفه – عليه الصلاة والسلام – من غزوة بدر ، وهى ابنة تسع ، فروت عنه علما كثيرا طيبا مباركا فيه ، وعن أبيها ، وعن عمر . وفاطمة ، وسعد ، وحمزة بن عمرو الأسلمى . وجدامة بنت وهب .

ولقد لقيت ربها ومدة عمرها ثلاث وستون سنة وأشهر .

بعض مزاياها ولمحات من حياتها تتجلى فيها جوانب القدوة ونواحى العظمة :

كانت السيدة عائشة ممن ولد فى الإسلام ، وهى أصغر من فاطمة بثمانى سنين ، وكانت تقول :

لم أعقل أبوىّ إلا وهما يدينان الدين .

وكانت امرأة مُهابةً جميلة ، ومن ثم يقال لها : الحُميراء . ولم يتزوج النبى ﷺ بكراً غيرها ، ولا أحبّ امرأة حبّها .

ويقول الإمام الذهبى : ولا أعلم فى أمة محمد ﷺ ، بل ولا فى النساء مطلقا امرأة أعلم منها ، ونشهد أنها زوجة النبى ﷺ فى الدنيا والآخرة ، فهل فوق ذلك مَفْخر ؟!

كيف كان زواجها ؟

عن عائشة – رضى الله عنها – قالت :

« قال رسول الله ﷺ : **أُرِيتُك فى المنام ثلاثَ ليالٍ ، جاء بك المَلَك فى سَرَقةٍ من حرير** ، فيقول :

هذه امرأتك ، فأكشف عن وجهك ، فإذا أنتِ فيه ، فأقول : **إن يكُ هذا من عند الله يُمْضِه** »[1].

---

(١) سَرَقة من حرير : أى قطعة من جيد الحرير . والحديث رواه الإمام الذهبى فى سير أعلام النبلاء عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة .

وأخرج الترمذى .. عن عائشة :

« أن جبريل جاء بصورتها فى خِرْقَة حرير خضراء إلى النبى ﷺ فقال : هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة »[1].

حب النبى ﷺ لها :

أحبها النبى ﷺ حبا شديدا كان يتظاهر به – كما يقول الإمام الذهبى – بحيث إن عمرو بن العاص ، وهو ممن أسلم سنة ثمان من الهجرة ، سأل النبى ﷺ :

أى الناس أحب إليك يا رسول الله ؟ قال : **عائشة** . قال : فمن الرجال ؟ قال : **أبوها** » .

ويعلق الإمام الذهبى على هذا الحديث بقوله :

وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض[2]، وما كان عليه السلام ليحب إلا طيباً .

وقد قال : « **لو كنت متخذا خليلا من هذه الأمة ، لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن أخوة الإسلام أفضل** » .

فأحبَّ أفضلَ رجل من أمته ، وأفضل امرأة من أمته ، فمن أبغض حبيبَىْ رسولِ الله ﷺ فهو حَرِىٌّ أن يكون بغيضاً إلى الله ورسوله .

وحبه – عليه السلام – لعائشة كان أمرا مستفيضا ألا تراهم ، كيف كانوا يتحرَّوْن بهداياهم يومها تقرباً إلى مرضاته !

ويروى الإمام الذهبى عن عائشة قولها :

كان الناس يتحرَّوْن بهداياهم يوم عائشة . قالت : فاجتمع صواحبى إلى أم سلمة ، فقلن لها : إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة ، وإنا نريد الخير ، كما تريده عائشة فقولى لرسول الله ﷺ يأمر الناس أن يهدوا له أينما كان .

---

(١) المصدر السابق . وحسنه الترمذى وقال : لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن عمرو بن عمرو ابن علقمة المكى .

(٢) أخرجه الشيخان والترمذى عن عمرو بن العاص .

فذكرت « أم سلمة » له ذلك ؛ فسكت فلم يردّ عليها . فعادت الثانية ، فلم يرد ، فلما كانت الثالثة قال :

« يا أم سلمة ؛ لا تؤذيني فى عائشة ، فإنه والله ، ما نزل علىّ الوحي وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها »[1].

وهذا الجواب منه ﷺ دالٌ على أن فضل عائشة على سائر أمهات المؤمنين بأمر إلهي وراء حبه لها ، وأن ذلك الأمر من أسباب حبه لها .

ولا عجب إذا سُمِعَ أنس يقول :

قال رسول الله ﷺ : **« فضل عائشة على النساء كفضل الثّريد على سائر الطعام »**[2].

وتقول عائشة - رضى الله عنها - :

« لقد أُعطيت تسعا ما أعطيتها امرأة بعد مريم بنت عمران :

١ - لقد نزل جبريل بصورتى فى راحته ، حتى أمر رسول الله ﷺ أن يتزوجنى .

٢ - ولقد تزوجنى بكرا ، وما تزوج بكرا غيرى .

٣ - ولقد قُبض رسول الله ﷺ ورأسُه فى حجرى .

٤ - ولقد قبرته فى بيتى .

٥ - وإن كان الوحي أنزل عليه ، وإنى لمعه فى لحافه .

٦ - وإنى لابنة خليفته وصدّيقه .

٧ - ولقد نزل عذرى من السماء .

٨ - ولقد خُلقت طيّبةً عند طيّب .

٩ - ولقد وُعِدْت مغفرة ورزقاً كريما »[3].

---

(١) متفق على صحته .

(٢) متفق عليه من طرق عن أبى طوال ، سير أعلام النبلاء .

(٣) رواه أبو بكر الآجرى عن أحمد بن يحيى الحلوانى ، عنه ، وإسناده جيد ، وله طريق آخر عن بشر بن هشام : نبأ الحكم بن هشام ، عن عبد الملك بن عمير قال : «قالت عائشة لنساء النبى ﷺ : «فضلت عليكن بعشر ولا فخر ......» ويقول فيه الإمام الذهبى : هذا حديث صالح الإسناد ولكن فيه انقطاع .

فلا عجب إذا كانت أحظى نسائه ﷺ وأحبهن إليه !

النبي زوجـا :

تعطينا عائشة رضى الله عنها صورة لما كانت تعامل به من رسول الله ﷺ تُهديها إلى الأزواج لكي يتعلموا فن المعاملة ، وكيف تكون العلاقة بين الزوجين ؟!

تقول عائشة – رضى الله عنها –:

« كنت ألعب بالبنات شتى اللعب ، فتجيء صواحبى فينقمعن من رسول الله ﷺ ، فيخرج رسول الله ﷺ فيُدْخلهن علّى ، فيلعبن معى » .

وفى لفظ : « فكانت جواريهن يلعبن معى بها ، فإذا رأين رسول الله انقمعن ، فكان يُسَرِّبُهُنَّ إلّى » .

وعن عائشة قالت :

« دخلت على رسول الله ﷺ وأنا ألعب بالبنات[٢]، فقال : **ماهذا يا عائشة** ؟ قلت : خَيل سليمان ، ولها أجنحة . فضحك »[٣].

ويروى الإمام الزّهرى ، عن عروة ، عن عائشة قالت :

« لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتى ، والحبشة يلعبون بالحراب فى المسجد ، وإنه ليسترنى بردائه لكى أنظر إلى لعبهم ، ثم يقف من أجلى حتى أكون أنا التى أنصرف . فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو » .

غيـرتها :

تقول عائشة رضى الله عنها :

« ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ما كان رسول الله

---

(١) ينقمعن : يدخلن فى بيت . أو يتغيبن وراء ستر . والحديث رواه هشام عن أبيه عنها . وأخرجه الإمام الذهبى .

(٢) أى : اللُّعب . كما فى الطبقات (٨ : ٤٤) .

(٣) سير أعلام النبلاء .

ﷺ يذكرها » .

ويعلق الإمام الذهبى على هذا الحديث فيقول :

قلت : وهذا من أعجب شيء أن تغار – رضى الله عنها – من امرأة عجوز توفيت قبل تزوج النبى ﷺ بعائشة بمُدَيْدَة . ثم يحميها الله من الغيرة من عدة نسوة يشاركنها فى النبى ﷺ ، فهذا من ألطاف الله بها وبالنبى ﷺ لئلا يتكدر عيشهما ، ولعله إنما خفف أمر الغيرة عليها حب النبى ﷺ لها ، وميله إليها ، فرضى الله عنها وأرضاها .

حسن العهد من الإيمان :

وتحكى لنا عائشة – رضى الله عنها – صورة من صور تلك الغيرة ، ومعالجة الرسول ﷺ للموقف فتقول :

« دخلت امرأة سوداء على النبى ﷺ ، فأقبل عليها . قالت : فقلت : يا رسول الله ، أقبلت على هذه السوداء هذا الإقبال !

فقال : **إنها كانت تدخل على خديجة ، وإن حسن العهد من الإيمان** »[1].

رؤية الله :

وتضع السيدة عائشة – رضى الله عنها – النقط على الحروف وتحسم الخلاف فتقول :

« من زعم أن محمدا ﷺ رأى ربّه فقد أعظم الفِرية على الله تعالى ، ولكنه رأى جبريل مرتين فى صورته ، وخلقه سادًّا ما بين الأفق »[2].

الهجر الجميل :

ويصور لنا الحديث الذى أخرجاه فى الصحيحين لأبى أسامة عن هشام

---

(١) سير أعلام النبلاء ج : ٢ ص ١١٨ .

(٢) المصدر السابق ، وهذا حديث – كما قال الإمام الذهبى – صحيح الإسناد ، ولم يأتنا نص جلى بأن النبى ﷺ رأى الله تعالى بعينيه ، وهذه المسألة مما لا يسع المرء المسلم السكوت عنها ، فأما رؤية المنام فجاءت من وجوه متعددة مستفيضة . وأما رؤية الله عياناً فى الآخرة فأمر متيقن تواترت به النصوص جمع أحاديثها الدارقطنى والبيهقى وغيرهما .

ما يسود العلاقة بينهما فى حالى الرضا والغضب بلفظ : « **إنى لأعلم إذا كنت عنى راضية ، وإذا كنت علىّ غضبَى** » . قالت : وكيف يارسول الله ؟!

قال : « **إذا كنت عنى راضية قلت : لا وربّ محمد . وإذا كنت علىّ غضبى قلت : لا ورب إبراهيم** » .

قالت : أجَلْ والله ، ما أهجر إلا اسمك »[1].

الرخصة فى التيمم :

ويروى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة :

أنها استعارت قلادة فى سفر مع رسول الله ﷺ فانسلت منها ، وكان ذلك المكان يقال له : الصلصل .

فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فطلبوها حتى وجدوها .

وحضرت الصلاة ، ولم يكن معهم ماء ، فصلوا بغير وضوء ، فأنزل الله آية التيمم .

فقال لها أسيد بن الحضير : جزاك الله خيرا ، فوالله مانزل بك أمر قط تكرهينه إلا جعل الله لك فيه خيرا »[2].

النبى ﷺ يترضّاها :

روى أبو نعيم عن النعمان بن كثير قال :

استأذن أبو بكر على النبى ﷺ فإذا عائشة ترفع صوتها عليه ، فقال : يابنت فلانة ، ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ ! فحال النبى ﷺ بينه وبينها .

ثم خرج أبو بكر فجعل النبى ﷺ يترضاها وقال : ألم ترينى حُلْت بين الرجل وبينك .

ثم استأذن أبو بكر مرة أخرى فسمع تضاحكهما فقال : أشركانى فى سَلْمكما كما أشركتمانى فى حربكما[3].

---

(١) يقول الإمام الذهبى . تابعه على بن مسهر . وأخرج النسائى حديث على .

(٢) رواه ابن نمير ، وعلى بن مسهر عنه كما قال الإمام الذهبى .

(٣) أخرجه أبو داود والنسائى من طريق حجاج بن محمد عن يونس نحوه ، لكنه قال : عن أبيه =

سبـــاق :

ويجرى الرسول ﷺ بينه وبين عائشة سباقا . فقد جاء فيما رواه هشام ابن عروة ،عن أبيه ، عن عائشة قالت : « سابقنى النبى ﷺ فسبقته ماشاء ، حتى إذا رهقنى اللحم سابقنى فسبقنى . فقال : **ياعائشة ، هذه بتلك** »[1].

لقد كانت أعرف الناس برسول الله ﷺ . وأرعاهم لما يريده ، ويخفف الجهد عنه ، وكان لها من الفهم والرأى والبصيرة ما يطمئن إليه . وساعده ذلك على أن يفرغ لأعبائه الكبار التى تلقيها عليه مهام رسالته الجليلة .

ولقد شاركت فى شئون مجتمعها برأيها وجهدها مع المحافظة على الحجاب الذى فرض على أمهات المؤمنين .

لقد أعطى الإسلام المرأة الحق فى التعليم ، وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وأهاب بها أن تصل إلى أعلى المستويات العلمية ، يدفعها إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ **وقل ربّ زدنى علما** ﴾ [الآية ١١٤ من سورة طه]

وقوله تعالى : ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾[سورة الإسراء : ٨٥]

كما أوجب على أمهات المؤمنين أن يعلمن الناس ذكورهم وإناثهم : ﴿ **واذكرن ما يُتْلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة** ﴾[الأحزاب : ٣٤]

فكان الرجل يأتى إليهن ويستفتيهن ، ويتلقى ما يلقينه من أحكام الله ومكارم الأخلاق .

ويروى عن السيدة عائشة – رضى الله عنها – أنها قامت بدور كبير فى هذا المجال حيث كان المسلمون يفزعون إليها فى القضايا العلمية ، والمسائل الفقهية ، فتذكرهم بالحق فيما اختلفوا فيه .

وإلى جانب ذلك أقر الإسلام مشاركة المرأة للرجل فى ميدان القتال ، وأفسح لها السبيل لتخرج مع الجيوش لتمريض المرضى ، ومداواة الجرحى ، وخدمة الجيش .

= عن إسحق ، عن العيزار ، عن النعمان ، وروى نحوه أحمد فى مسنده .

(١) يقول الإمام الذهبى : ورواه أبو إسحق الفراوى ، عن هشام ، فقال : عن أبيه ، عن أبى سلمة عنها . أخرجه هكذا أبو داود .

ويقول الفقهاء فى ذلك :

إن الجهاد فرض كفاية ، ولا يجب على أصحاب الأعذار لأعذارهم ولا يجب على المرأة لأنها مشغولة بحق زوجها ، ولكن إذا أذن الزوج لها أن تخرج مجاهدة ، أو أخذها معه فى الجهاد لا يكون عليه ، ولا عليها فى ذلك من حرج .

وقالوا : هذا كله إذا لم يهجم العدو ، فإذا هجم العدو وجب على جميع الناس أن يخرجوا للدفاع عن الحوزة فتخرج المرأة بغير إذن زوجها ، كما يخرج الولد بغير إذن أبيه ، والعبد بغير إذن سيده[١].

حرصها على كرامة المرأة :

وكانت السيدة عائشة – رضى الله عنها – شديدة الدفاع عن المرأة حريصة على كرامتها ، كما كانت فى نفس الوقت شديدة الإنكار على اللواتى يخالفن بعض أحكام الشريعة ، فقد واجهت نساء « حمص » عندما نزلن عليها قائلة : « لعلكن من اللواتى يدخلن الحمامات . سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **أيما امرأة وضعت ثيابها فى غير بيت زوجها فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله** »[٢].

وحينما رأت تغيرا فى ملابس بعض النساء بعد عهد النبى ﷺ أنكرت ذلك وقالت : « **لو أن رسول الله ﷺ رأى ما أحدث النساء لمنعهن المسجد كما منعت نساء بنى إسرائيل** »[٣].

ونفتح صحيح مسلم على باب الإحسان إلى البنات » ليروى لنا عنها فيقول :

عن عائشة – رضى الله عنها – زوج النبى ﷺ قالت : جاءتنى امرأة ومعها ابنتان لها ، فسألتنى فلم تجد عندى شيئاً غير تمرةٍ واحدة !؛ فأعطيتها إياها ، فقسمتها بين ابنتيها ، ولم تأكل منها شيئاً ، ثم قامت فخرجت وابنتاها !

---

(١) محمود شلتوت . الإسلام عقيدة وشريعة ص ٢٠٠-٢٠١ .
(٢) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه .
(٣) متفق عليه .

فدخل علىّ النبى ﷺ فحدّثته حديثها ، فقال النبى ﷺ « من ابتلى من البنات بشيء فأحسن إليهن كنّ له ستراً من النار »[١].

ويقول أبو سلمة بن عبد الرحمن عن علمها :

« ما رأيت أحداً أعلم بسنن رسول الله ﷺ ، ولا أفقه فى رأى إن احتيج إليه ، ولا أعلم بآية فيم نزلت ، ولا فريضة من عائشة »[٢].

وتحدثنا السيدة عائشة – رضى الله عنها – فيما رواه النسائى فى عشرة النساء ، وأخرجه مسلم فى صحيحه ، فتقول :

« والله ما ضرب رسول الله ﷺ بيده امرأة له قط ، ولا خادما له قط ، إلا أن يجاهد فى سبيل الله .

ولا خُيّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن مأثما ، وإن كان إثما كان أبعد الناس .

والله ما انتقم لنفسه من شيء قط يؤتى إليه حتى يُنتَهك من حرمات الله » .

وكانت رضى الله عنها تحسن القراءة ، ولم يكن يعرف ذلك إلا عدد محدود من أصحاب رسول الله ﷺ .

وكانت زوجات رسول الله ﷺ جميعا قسيمات عائشة فى إذاعة العلم ، وإفاضة الدين على المسلمين .

وكما كانت عائشة أم المؤمنين تجيد القراءة كانت حفصة أم المؤمنين تحسن الكتابة ، وكانت الشفّاء بنت عبد الله بن عبد شمس القرشية هى التى علمتها إياها[٣].

ولقد ذكر القاسم بن محمد بن أبى بكر – ابن أخى عائشة أم المؤمنين –

---

(١) الابتلاء : الامتحان ، لكن أكثر استعمال الابتلاء فى المحن ، والبنات مما يُعَد منها ؛ لأن أكثر هوى الخلق فى الذكور ، والإسلام لا يفرق بين البنات والذكور فالله هو الواهب ، يهب لمن يشاء إناثا ، ويهب لمن يشاء الذكور ، والنساء شقائق الرجال ، والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض .

(٢) الطبقات : (٣٧٥/٢) .

(٣) الإصابة (ج ٧ ص ١٢٠ – ١٢١) .

أنها استقلت بالفتوى زمن أبى بكر وعمر وعثمان - رضى الله عنهم - إلى أن توفيت - رحمها الله[1]-

ومهما حاولت أن أحصى مناقبها فلن ألم بها ، ويقول ابن عبد البر : إنها كانت إلى جانب علمها بالتفسير والحديث والفقه . عالمة وعلى مستوى عالٍ بالطب والشعر والأنساب !

وهى التى نزل القرآن ببراءتها من فوق سبع سمٰوات رضى الله عنها .. وإليك بعض ما قيل فيها :

(١) الطبقات (٣٧٥/٢) .

قالوا فى عائشة*

قال أبو برد بن أبى موسى عن أبيه :

ما أشكل علينا - أصحاب محمد ﷺ - أمر قط ، فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علما .

وقال مسروق :

رأيت مشيخة أصحاب محمد الأكابر يسألونها عن الفرائض .

وقال عروة بن الزبير : ما رأيت أحدا أعلم بالقرآن ولا بفرائضه ، ولا بحلال ولا بحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب ، ولا بنسب من عائشة .

وقال أيضاً : ما رأيت أعلم بفقه ولا طب ولا شعر من عائشة .

وقال أبو عمر بن عبد البر : « إن عائشة كانت وحيدة عصرها فى ثلاثة علوم : علم الفقه ، وعلم الطب ، وعلم الشعر .

وقال أبو الزناد : ما رأيت أحدا أروى لشعر من عروة ، فقلت له : ما أرواك ! فقال : ما روايتى فى رواية عائشة ، ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعراً .

وقال الزّهرى : لو جمع علم عائشة بعلم جميع أزواج النبى ﷺ وجميع النساء كان علم عائشة أكثر ، وفى رواية « أفضل » .

وقال معاوية بن أبى سفيان : يازياد ، أى الناس أعلم ؟ قال زياد : أنت يا أمير المؤمنين .

قال : أعزم عليك .

قال : أما إذا عزمت علَىّ فعائشة .

وقال محمد بن عمر : ربما روت عائشة القصيدة ستين بيتا والمائة بيت .

(*) الإصابة فى تمييز الصحابة .

وقال عطاء بن أبى رباح : كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس، وأحسن الناس رأيا فى العامة .

وقال المقداد بن الأسود : ما كنت أعلم أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ أعلم بشعر ولا فريضة من عائشة .

وفى شرح الزرقانى وفتح البارى : أن عائشة كانت فقيهة جدا حتى قيل : إن ربع الأحكام الشرعية منقول عنها .

وقال الذهبى فى الكاشف : إن عائشة أفقه نساء الأمة .

وقال الزركشى فى المعتبر : إن عمر بن الخطاب وعلىّ بن أبى طالب كانا يسألانها فى مسائل فقهية عديدة .

وقالت عائشة : « إن الآية كانت تنزل علينا فى عهد رسول الله ﷺ فنحفظ حلالها وحرامها وأمرها وزاجرها ولا نحفظها » .

مسند عائشة :

روت عن رسول الله ﷺ (٢٢١٠ : أحاديث) أخرج لها منها فى الصحيحين : ٢٩٧ حديثا ، والمتفق عليه منها (١٧٤ حديثاً) ، وانفرد البخارى بأربعة وخمسين حديثاً[١] ومسلم بتسعة وستين حديثاً[٢].

وبذلك يمكننا أن نعد عائشة من المكثرين[٣]، فتأتى بعد أبى هريرة (٥٣٩٤ : حديثا) ، وبعد عبد الله بن عمر بن الخطاب الذى روى (٢٦٣٨ : حديثاً) . وقبل ابن عباس الذى روى (١٥٤٠ : حديثاً) ، وقبل أبى سعيد الخدرى الذى روى (١١٧٠ : حديثاً) .

وجعل بعضهم المكثرين سبعة وأنشد فيهم :

---

(١) المجتنى لابن الجوزى . والكمال فى معرفة الرجال للحافظ المقدسى . وفى فتح القدير : إن البخارى انفرد بأربعة وسبعين حديثا ومسلم بثمانية وعشرين . وقيل : وخمسين . وقيل : وستين حديثا .

(٢) فى المجتنى وفى فتح القدير . وفى الكمال أن مسلما انفرد بثمانية وستين حديثا .

(٣) المكثر من زادت أحاديثه على ألف .

سبعٌ من الصَّحْب فوق الألف قد نقلوا
مِنَ الحديث عن المختار خيرِ مُضَرْ
أبـو هريـرة، سعـدٌ، جابـرٌ، أنسٌ
صِدِّيقةٌ، وابن عباسٍ كذا ابن عُمَرْ

علمها بالطــب :

كان عروة يقول لعائشة :

يا أمّتاه ، لا أعجب من فقهك ، أقول : زوجة نبى الله ، وابنة أبى بكر .

ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس ، أقول : ابنة أبى بكر ، وكان أعلم الناس .

ولكن أعجب من علمك بالطب ، أين هو ؟ أو ما هو ! قال : فضربت على منكبه وقالت :

أى عُرَية ، إن رسول الله ﷺ كان يسقم عند آخر عمره ! أو فى آخر عمره – وكانت تَقدَم عليه وفود العرب من كل وجه فتنعت له الأنعات ، وكنت أعالجها له ؛ فمِنْ ثمّ »[1].

وكيف لا وقد قال الزهرى فيها :

« لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل »[2].

ويروى الإمام الذهبى بسنده عن الأحنف قال :

سمعت خطبة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى والخلفاء بعدهم فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم ولا أحسن منه من فم عائشة .

ويقول موسى بن طلحة :

ما رأيت أحداً أفصح من عائشة .

إيثــار :

وليس أدل على إيثارها غيرها على نفسها مما جاء فى الحديث الذى أخرجه

---

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢ .
(٢) المصدر السابق .

البخارى فى حديث طويل جدا عن عمرو بن ميمون الأودى قال لى عمر : انطلق إلى أم المؤمنين عائشة فقل : يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ، ولا تقل : أمير المؤمنين ، فإنى لست اليوم بأمير المؤمنين . وقل : يستأذن عمر ابن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه قال : فاستأذن وسلم ، ثم دخل عليها وهى تبكى فقال : يقرأ عليك عمر السلام ، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه ، فقالت : كنت أريده لنفسى ، ولأوثرنّه اليوم على نفسى .... الحديث » .

إن سيرتها - رضى الله عنها - مرآة للفتاة ترى فيها كيف تستطيع أن تكون قوية الشخصية فى غير تبذل .

وأن تحافظ على جمال مظهرها فى اتزان واحتشام .

وكيف تتفهم دينها وتتعمقه حتى تصبح حجة فيه .

وكيف تتحول الكلمة الدينية إلى تطبيق عملى صحيح .

وكيف يكون العطاء الفكرى والمادى .

وكيف تكون الحياة الزوجية التى تساعد الزوج على النهوض بعمله والنجاح فيه .

لقد أعطت السيدة عائشة الكثير والكثير ، وكانت مرجعا لكثير من القضايا والمسائل الدينية ، ورشحها كمال عقلها وسمو خلقها ودقتها وملازمتها للرسول ﷺ لتكون ثقة فى الحديث الشريف .

لقد صحبته ﷺ فى كثير من غزواته ، ولم تتردد فى خدمة المحاربين وإغاثتهم بما هم فى حاجة إليه ولقد عرفت بعطفها على الناس وبرها بهم إلى درجة الإيثار .

ولا عجب فهى الصّدّيقة بنت الصديق وأمها أم رومان التى قال فيها الرسول ﷺ : « **من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين ، فلينظر إلى أم رومان** » [أخرجه ابن سعد عن القاسم بن محمد]

ويقول الزركشى فى عائشة : « لم ينكح النبى ﷺ امرأة أبواها مهاجران سواها » . رضى الله عنها وأرضاها .

وإنه لمن المجدى أن نتيح لك الانتفاع بحديث روته أم المؤمنين عائشة عن

أم سنبلة الأسلمية التى وفدت على البيت النبوى من بادية المدينة زائرة تحمل هديتها إلى النبى ﷺ .

و« البادية » لا تستغنى عنها « الحاضرة » ، إذا دعاهم أهل الحاضرة أجابوا ، وإن نادوهم لبوا النداء .

إن أهل البادية عرب مثل أهل الحاضرة ترفرف عليهم جميعا أعلام المحبة والتعاون والإخاء !

لقد روت عائشة أم المؤمنين عن « أم سُنْبلة الأسلمية » حديثها فى أهل المدينة يعلمنا كيف تكون المعاملة بين أهل المدينة وأهل البادية : عن عُروة – سمعت عائشة تقول :

أهدت « أم سنبلة الأسلمية » لرسول الله ﷺ لبنا ، فدخلت عليه فلم تجده ، فقلت لها :

« إن رسول الله ﷺ قد نهى أن نأكل ما تهديه الأعراب ، فدخل رسول الله ﷺ وأبو بكر ، فقال : **يا أم سنبلة ؛ ماهذا معك** ؟

قالت : لبن أهديته إليك .

قال : **اسكبى يا أم سنبلة** .

فناولته رسول الله ﷺ فشرب .

فقالت عائشة :

يا رسول الله ، قد كنت حدثتنا أنك نهيت عن طعام الأعراب ، فقال :

« **ياعائشة ، ليسوا بأعراب ، هم أهل باديتنا ، ونحن أهل حاضرتهم ؛ إذا دعوناهم أجابوا ؛ فليسوا بأعراب** » .

وأخرج النسائى فى كتاب الكُنَى عن أم سُنْبُلة :

حدثتهم أنها أتت رسول الله ﷺ بهدية فأبى أزواجه أن يأخذنها ، فجاء رسول الله ﷺ فقال : « **خذوها ؛ فإن أم سنبلة من باديتنا ، ونحن أهل حاضرتها** » .

ما هذه البساطة التى تتجلى فيما رواه سليمان بن بلال عن عبد الرحمن ،

وأخرجه ابن مَنْده حيث يقول فيها : قال : « **اسكبى وناولى أبا بكر ، ثم قال : اسكبى وناولى عائشة ، ثم قال : اسكبى وناولينيه . فشرب** » . ورواه محمد بن إسحاق عن عائشة[1] .

أنى لنا – اليوم – مثل هذه المشاعر الطيبة بين أهل البادية وأهل الحاضرة ؟!

وأنى لنا – اليوم – هذا التقدير المتبادل ، وتلك المحبة فى الله ؟!

بهذه الروح الطيبة سرت العقيدة السهلة البسيطة إلى النفوس فعمرت بحب الله ورسوله ..

ألا ما أبعد الفرق بين العرب والأعراب .. إن الأعراب كما قال الله فيهم ﴿ **أشد كفرا ونفاقاً ...** ﴾ [التوبة : ٩٧] .

أما العرب فقد نزل القرآن بلسانهم ﴿ **قرآنا عربياً ..** ﴾[يوسف : ٢] .

والعرب سواء كانوا فى البادية أم فى الحاضرة إخوة .. والبادية هى خط الدفاع الثانى للحاضرة .. إن دعوهم أجابوا .. وإن نادوهم لبوا النداء !

ألا ليتنا نعيد النظر إلى قرانا وريفنا فنوطد العلاقة بين القرية والمدينة .. علاقة المودة والمحبة . لتسود كلمة الحكمة وتنتصر الراية ، ويعلو الحق .

عـود علـى بـدء :

أما الآن فسوف أذكر لك من أقوالها مما ذكره صاحب نثر الدر :

● روى أن عائشة قالت :

« مكارم الأخلاق عشر : صدق الحديث ، وصدق البأس ، وأداء الأمانة ، وصلة الرَّحِم ، والمكافأة بالصنيع ، وبذل المعروف ، والتذمم للجار ، والتذمم للصاحب ، وقِرى الضيف ، ورأسهن الحياء »[2].

● ورأت رجلا متماوتا فقالت : ما هذا ؟

فقالوا : زاهد .

---

(١) الإصابة ج ٨ وأخرجه ابن منده ، وأخرجه ابن سعد ، وأخرجه أحمد .

(٢) نثر الدر للآبى .. الجزء الرابع ص : ٢١ .

فقالت : قد كان عمر – رضى الله عنه – زاهدا ، فكان إذا قال أسمع ، وإذا مشى أسرع ، وإذا ضرب فى ذات الله أوجع [1]!

● وكانت تقول : لله در التقوى ، ما تركت لذى غيظ شفاء[2].

وروى أنها كانت تقول : « لا تطلبوا ما عند الله من عِند غير الله بما يُسْخطُ الله »[3].

● وقالت : من أرضى الله بإسخاط الناس كفاه الله ما بينه وبين الناس .

ومن أرضى الناس بإسخاط الله – جلّ ذكره – وكله الله إلى الناس[4].

وفيها يقول الأستاذ العقاد : « إن غزارة الاطلاع والعلم بينة من لغة السيدة عائشة التى امتزجت بأسلوبها فى كل ما نقل عنها ، ولاسيما الخطب والوصف خاصة ؛ فقد كان لها مادة من اللغة لا تتهيأ بغير محصول كبير من أنباء العربية التى تستقى من أعرق مصادرها » ولاريب أنها كانت تقتدى بأبيها فى حفظ الأخبار والأنساب . كما كانت تقتبس من ميراث أخلاقه وطباعه وملكاته .

---

(١) المصدر السابق ص : ٢٢ والكامل للمبرد : ٢/١٦٤ .

(٢) نثر الدر للآبى ص : ٢٤ .

(٣) نثر الدر للآبى ص : ٢٤ . والبيان والتبيين ٣/١٧٠ ، وفى عيون الأخبار ٤/٧ . وكان يقال : ثم ذكر القول .

(٤) نثر الدر للآبى ص : ٢٥ ج ٤ .

٦ - أم حميد

امرأة أبى حميد الساعدى

عابدة من عابدات صدر الإسلام .

روى حديثها ابن أبى عاصم وبقى بن مُخَلّد[1] .. أنها قالت : قلت : يا رسول الله ، يمنعنا أزواجنا أن نُصَلّى معك !

فقال رسول الله ﷺ : **« صلاتكن فى بيوتكن أفضل من صلاتكن فى حُجَركن ، وصلاتكن فى حجركن أفضل من صلاتكن فى دوركن ، وصلاتكن فى دوركن أفضل من صلاتكن فى الجماعة »** .

وأخرجه ابن خيثمة عن عبد الله بن سُوَيد الأنصارى عن عمته أم حُمَيد - امرأة أبى حميد الساعدى - أنها جاءت إلى النبى ﷺ فقالت : يارسول الله ، إنى أحب الصلاة معك .

قال : **« قد علمتُ أنك تحبين الصلاة معى ، وصلاتك فى بيتك خير ... »** فذكر نحوه لكن بالإفراد ، وزاد :

« وصلاتك فى دارك خير من صلاتك فى مسجد قومك ، وصلاتك فى مسجد قومك خير من صلاتك فى مسجدى » ،

قال : **« فأمرت فبنى لها مسجد فى أقصى شىء من بيتها وأظلمه ، فكانت تصلى حتى لقيت الله تعالى »**[2].

أعرفت أيتها الأخت المسلمة خير مكان لصلاتك ؟!

---

(١) الإصابة ج ٨ ص ١٩٧ .

(٢) الإصابة ج ٨ ص ١٩٧ والاستيعاب لابن عبد البر ، وأسد الغابة لابن الأثير .

٣ - أم أنس

والدة عمران بن أبى أنس

ونتوقف الآن مع « أم أنس » زوْج أبى أنس ، ووالدة عِمران بن أبى أنس .. لتحدثنا حديثا سمعته من رسول الله ﷺ يتيح لمن يعمل به أن يكون فى الجنة مع الرفيق الأعلى من الأنبياء والصّدّيقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً !

أخرج الطبرانىّ من طريق محمد بنَ إسماعيلَ الأنصارى عن موسى بن عمران بن أبى أنيس عن جدته أم أنس أنها قالت :

« أتيت رسول الله ﷺ فقلت : جعلك الله فى الرفيق الأعلى من الجنة ، وأنا معك » .

قال : « **أقيمى الصلاة ؛ فإنها أفضل الجهاد . واهجُرى المعاصى ؛ فإنها أفضل الهجرة . واذكرى الله كثيراً ، فإنه أحب الأعمال إلى الله** »[1].

وأخرجه الطبرانى أيضا من طريق إسحاق بن إبراهيم بن بسطاس حدثنى مربع عن أم أنس أنها قالت :

يا رسول الله ، أوصنى ، فقال :

« **اهجرى المعاصى ، فإنها أفضل الهجرة** .... » الحديث . وفيه : « **واذكرى الله كثيراً ؛ فإنك لا تأتين الله بشىء أحبَّ إليه من كثرةِ ذكر الله** »(*).

---

(١) الإصابة .

(*) المرجع السابق . وفيه : قال أبو موسى : أورد الطبرانى الأول ترجمة مستقلة ، وأورد الثانى فى ترجمة أم سليم : والدة أنس بن مالك ، وكأن هذه ثالثة . كذا قال . وليس بظاهر . بل الظاهر أنهما واحدة غير أم سليم .

وقد أفردها أبو عُمَر عن أم سُلَيم ، لكنه قال : جدة يونس بن عثمان . وكذا قال البخارى فى التاريخ : يونس بن عمران بن أبى أنس عن جدته فذكر الحديث باللفظ الأول .

٤ ـ فاطمة بنت أسد بن هاشم
ابن عبد منـاف

فى السنة التاسعة من مسيرة الجهاد العظيم ماتت خديجة – رضى الله عنها – فاشتد حزن الرسول ﷺ على أعز نصرائه ، وأصدق وزرائه . ماتت خديجة ، ولكن عطاء المرأة للنبوة لم يمت ولم ينقطع ؛ فقد خلفتها على رعاية النبى ﷺ وتأييده وتثبيته ، وتدبير شئونه امرأة لم تكن دونها رأيا ولا عطفا ولا عقلا ولا جاها ولا منصبا ، وتلك هى « فاطمة بنت أسد » .

إنها زوج عمه أبى طالب بن عبد المطلب عم النبى ﷺ وأم أمير المؤمنين على بن أبى طالب قائد المسلمين ، وصهر النبى الأمين .

لم تكن فاطمة – رضى الله عنها – خلفا من خديجة فحسب ، بل كانت خلفا من أبى طالب فى الذّود عن النبى ﷺ والانتصار له ، ولم يزل ذلك شأنها حتى هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة فتبعته فى هجرته ، فكان بيتها فى المدينة ، كما كان فى مكة ، مآبا طيبا ، ومقيلاً كريماً .

يقول الإمام الذهبى فى ترجمته لها : فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصى ، والدة على بن أبى طالب . هى حماة فاطمة . كانت من المهاجرات الأول . وهى أول هاشمية ولدت هاشمياً .

كما يقول الزّبير بن بكار فيها :

هى أول هاشمية ولدت خليفة . ثم بعدها فاطمة الزهراء .

ويقول ابن سعد :

كانت امرأة صالحة ، وكان النبى ﷺ يزورها ، ويَقيل فى بيتها .

ويقول ابن حجر : إنها توفيت قبل الهجرة ، والصحيح : أنها هاجرت ،

وماتت بالمدينة .

وبه جزم الشعبى قال : أسلمت وهاجرت وتوفيت بالمدينة .

ولمسة الوفاء التى ينبغى ألا تتخلى عنها تتجلى فيما أخرجه ابن عاصم من طريق عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب ، عن أبيه - « أن النبى ﷺ كفن فاطمة بنتَ أسد فى قميصه ، وقال : « لم نلق بعد أبى طالب أبَرّ بى منها »[1] .

إن الرسول ﷺ لم ينس لها بِرَّها به ، ولا برها بزوجة ابنها على : فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

قال الأعمش ، عن عمرو بن مُرّة عن أبى البَخْتَرىّ عن على : قلت لأمى : اكفى فاطمةَ سِقايةَ الماء والذهاب فى الحاجة ، وتكفيك الطحن والعجن !!

ألم أقل لك إنها كانت نموذجا لزوج العم ، وللأم ، وللحماة البارّة بالنبى ﷺ وفاطمة ابنته ؟!

لقد كانت ذات صلاح ودين . عاشت فى خدمة الدعوة الوليدة وتأييدها .

روت عن النبى ﷺ ٤٦ حديثاً .

وفى الصحيحين لها حديث واحد متفق عليه .

فلا عجب إذا ما رأيت الرسول ﷺ يحترمها احتراماً عظيما ، ويزورها ، ويَقيل فى بيتها[2] .

وكما كانت فاطمة نموذجا فى نصرة الله ، وتأييد رسوله منقطعة القرين - كذلك كان لها رسول الله ﷺ يوم لحقت بربها . فقد كفنها فى ثوبه ، ونزل فى قبرها ، واضطجع فيه ، فكان حقا على القبر أن يشرق بنور الله ، ويَعْبِق بَروحه ، ويفيض برحمته .

---

(١) الإصابة ج ٨ ص ٦٠ .

(٢) يقضى وقت القيلولة والظهيرة . وتجد ترجمة لها بكل من الإصابة ، والاستيعاب ، وطبقات ابن سعد ، وسير النبلاء للذهبى ، والمجتبى لابن الجوزى .

وقد قيل للنبى ﷺ : ما رأيناك صنعت بأحد ما صنعته بهذه ، فقال « إنه لم يكن بعد أبى طالب أبرّ بى منها »[1].

ذلك فضل الله يختص به من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

(١) ابن جرير الطبرى ج ٤ ص ١١٣٧ ١١٥٦ . وكتاب الطبقات ج ٧ ص ١٢ ١٤ و لإصابة ج ٨ ص ١٦٠ ، وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٨٠ ٨٣ . وقد روى الإمام الذهبى الحديث بقوله قال ابن عبد البر : روى سعدان بن الوليد السابرى عن عطاء عن ابن عباس ، قال «لما ماتت فاطمة أم على ألبسها النبى ﷺ قميصه ، واضطجع معها فى قبرها . فقالوا : ما رأيناك يا رسول الله صنعت هذا ! فقال : إنه لم يكن أحد بعد أبى طالب أبرّ بى منها . إنما ألبستها قميصى لتكسى من حلل الجنة . واضطجعت معها ليهون عليها» .

وعلق عليه الإمام الذهبى بقوله : هذا غريب .

٨ - أم معبد الخزاعية

روى أن رسولَ الله ﷺ خرج ليلة هاجر من مكة إلى المدينة ، وأبو بكر - رحمه الله - وعامر بن فهيرة[١]، ودليلهما الليثى عبد الله بن أُرَيْقط . فمروا على خيمة : « أم معبد الخزاعية » وكانت امرأة بَرْزَة جَلْدةً تحْتَبِى[٢] بفناء القبة ، ثم تسقى وتطعم ، فسألوها لحما وتمرا ليشتروه منها ، فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك .

وكان القوم مُرْمِلين مسنين[٣]، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاةٍ فى كِسْرِ[٤] الخَيْمة . فقال : « **ما هذه الشاةُ يا أم معبد ؟** » .

قالت : شاةٌ خلّفها الجهد عن الغنم .

قال : « **هل بها من لبن ؟** » .

قالت : هى أجهد من ذلك .

قال : « **أتأذنين لى أن أحلُبها ؟!** » .

قالت : بأبى وأمى أنت . نعم : إن رأيت بها حلبا فاحلبها .

فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسح ضرعها . وسمّى اللهَ ، ودعا لها فى شاتها ، فتَفَاجّت[٥] عليه ، ودَرّت وأَخْثَرت[٦]. ودعا بإناء يُرْبِضُ الرّهط[٧]،

---

(١) عامر بن فهيرة مولى أبى بكر ، من السابقين إلى الإسلام . شهد بدرا وأحداً ، وقتل يوم بئر معونة . أسد الغابة ١٣٦/٢ .

(٢) تحتبى : تجلس جِلْسة عربية تشد ظهرها إلى ركبتيها بشملة لتتمكن من الجلوس .

(٣) مسنين : أصابتهم السنة والفقر .

(٤) كِسْر الخيمة : داخلها .

(٥) تفاجّت : بالغت فى تفريج رجليها .

(٦) أخثرت : أكثرت .

(٧) يربض الرهط : يرويهم ويشبعهم .

فحلب فيه ثجًّا[1] حتى غلبه الثُّمال[2]، ثم سقاها حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا، ثم شرب آخرهم، وقال:

« **ساقى القوم آخرُهم شرباً** »[3]، فشربوا جميعا عَلَلاً بعد نَهَل، ثم أراضوا، ثم حلب فيه ثانيا عودا على بدء حتى ملأ الإناء، ثم غادره وبايعها وارتحلوا عنها. فقلّ ما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعْنُزًا حُبَّلاً عجافًا تساوَكُ[4] هُزالا، مُخُّهُن[5] قليل، ولا نُقًا[6] بهن. فلما رأى أبو معبد اللبنَ عجبَ وقال:

من أين هذا يا أم معبد، والشّاءُ عازبة حيال[7]. ولا حَلُوبةَ فى البيت؟!

فقالت: لا والله، إلا أنه مرّ بنا رجل مبارك كان من حديثه كَيْتَ وكَيْتَ!

قال: صفيه لى يا أم معبد، فقالت:

رأيت رجلا ظاهرَ الوضاءة، أبلجَ الوجه، حسن الخُلُق، لم تَعِبْه ثجلة[8]، ولم تُزْرِ به صَعْلة[9].

وسيماً قسيماً فى عينيه دَعَج، وفى أشفاره وطَف[10].. وفى صوته صَحَل[2]، وفى عُنقِه سَطع[12].. وفى لحيته كثاثة..

أحورُ أكْحَل.. أزَجُّ أقْرَن[13]..

---

(1) ثَجًّا: لبنا سائلا.
(2) الثُّمال: ما يتراءى على سطح اللبن من رغوة جمع ثمالة.
(3) الجامع الصغير: ١٧٠، عن الطبرانى.
(4) تساوك: تسير سيراً ضعيفاً.
(5) مخاضهن قليل: كناية عن الضعف. ومخاخ: جمع مُخ.
(6) نُقًا: أى لا مُخ لها لضعفها وهزالها.
(7) حيال: غير حوامل.
(8) ثجلة: ضخامة البطن.
(9) الصعلة: صغر الرأس. وقيل: الخفة والنحول فى البدن.
(10) وطف: طول أهداب.
(11) الصّحل: البحّة.
(12) السّطع: الطول.
(13) الزجج: تقوس فى الحواجب مع طول وامتداد. والأقرن: المقترن الحواجب.

إن صَمَتَ فعليه الوقار .. وإن تكلم سما وعلاه البهاء .. أجمل الناس وأبهاهُ من بعيد .. وأحلاه وأحسنه من قريب ..

حُلْوُ المنطق ، فصل لا نزرٌ(١) ولا هَذْر ، كأن مَنْطِقَهُ خرزات نَظْم تتحدرن . رَبْعةٌ لا تشنؤه من طول ، ولا تقتحمه العين من قصِر .

غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظراً ، وأحسنهم قدراً .

له رُفقاء يحفون به ، إن قال : أنصتوا لقوله ، وإن أمر تبادروا إلى أمره . محفودٌ محشود(٢). لا عابسٌ ولا مُفنّد(٣). صلى الله عليه وسلم .

قال أبو معبد : هو والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من أمره بمكة ماذكر .

ولو كنت وافقته لالتمست صحبته ، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً(٤).

وقيل لعلى بن أبى طالب : كيف لم يصف أحد النبى ﷺ كما وصفته أم معبد ؟!

فقال : لأن النساء يصفن بأهوائهن فيجدن فى صفاتهن .

وأراك أيها القارىء الكريم تقول :

وماذا كنا فاعلين لو لم نحصل على مثل هذا الوصف الذى يعطينا صورة جلية للنبى ﷺ حتى لكأننا نراه رأى العين ؟!

لكنها عاطفة الإيمان تملأ القلوب والأركان فيكشف عنها اللسان بأحلى بيان ، وما خرج من القلب فهو إلى القلب .

---

(١) النزر : القليل الذى يدل على العِىّ .

(٢) يحف الناس ويخدمونه ، فهو مطاع فيهم .

(٣) المفَنّد : الضعيف الرأى .

(٤) تتمة الخبر فى أسد الغابة : ٤٥١/١ . وقد جاء ذكر الوصف فى بلاغات النساء لطيفور . وجاء أيضاً فى زاد المعاد ٥٤/٢ . ونثر الدر ج ٤ ص ٨٥-٨٨ .

٦ ـ أم سليم بن ملحان

أم أنس بن مالك

من أفاضل النساء ..

يعرفها الجميع بكنيتها .. أما اسمها فقد اختلفوا فيه فقيل : سهلة ، وقيل : رميثة ، وقيل : مليكة ، وقيل : الغُميصاء أو الرميصاء !

على كل فهى أم سُلَيم .. وهى أم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ .

فماذا كانت قصتها مع مالك ؟

لقد تزوجت مالك بن النضر فى الجاهلية ، فولدت أنساً قبل إسلامها . وأسلمت مع السابقين إلى الإسلام من الأنصار ، فغضب مالك ، وقال لها : أصَبَوْت[1]؟

قالت : ما صبوت ، ولكنى آمنت بهذا الرجل .

ثم جعلت تلقن أنساً وتشير إليه بقولها :

قل : لا إله إلا الله .

قل : أشهد أن محمداً رسول الله .

فكان مالك يقول لها : لا تفسدى علىّ ابنى ! فتقول : لا أفسده .

ثم خرج مالك يريد الشام فلقيه عدو فقتله ، فلما بلغها قتله . قالت : لا أفطم « أنساً » حتى يدع الثدى !

وكانت « أم سليم » تقول : لا أتزوج حتى يبلغ أنس ، ويجلس فى المجالس ، فيقول : جزى الله أمى عنى خيراً ، لقد أحسنت ولايتى .

---

(١) أى تركت دينك ودين آبائك فى الجاهلية .

تجربــة ثانيــة :

خطبها أبو طلحة – وهو مشرك – فأبت ، وقالت له :

يا أبا طلحة ، ألست تعلم أن إلهك الذى تعبده هو حجر لا يضرك ولا ينفعك ، أو خشبة يأتى بها التجار ، فينجرها لك .. هل يضرك .. هل ينفعك ؟

أفلا تستحى من عبادتك هذه ؟!

فإن أسلمت ، فإنى لا أريد منك صداقا غير إسلامك !

فوقع الإسلام فى قلب أبى طلحة ، ونطق بالشهادتين ، فتزوجته ، وكان الصداق بينهما الإسلام[1]!!

ألا ليتنا نراعى هذا الجانب عند اختيار الزوج فلا نشق على المسلم ، ولا نكلفه ما يرهقه !

لقد روت عن النبى ﷺ أربعة عشر حديثاً . وأخرج لها منها فى الصحيحين أربعة أحاديث أحدها متفق عليه ، وانفرد البخارى بحديث ، ومسلم بحديث .

وفى يوم أحد تقوم « أم سُلَيم » بدورها فتسقى العطشى ، وتداوى الجرحى .

وأخرج ابن سعد بسند صحيح أن « أم سُلَيم » اتخذت خنجراً يوم حنين فقال أبو طلحة : يا رسول الله ؛ هذه أم سليم معها خنجر . فقالت : اتخذته إن دنا منى أحد من المشركين بقرت بطنه . وأقتل هؤلاء الذين يفرون عنك كما تقتل هؤلاء الذين يقاتلونك ؛ فإنهم لذلك أهل ، فقال لها الرسول ﷺ : « **يا أم سليم ، إن الله قد كفى وأحسن** » .

ويروى ابن حجر بسنده فيقول : أخبرنا مسلم بن إبراهيم ، أخبرنا ربعى

---

(١) وعن أنس قال : تزوج أبو طلحة أم سليم – رضى الله عنهما – فكان صداق ما بينهما الإسلام ، أسلمت أم سليم قبل أبى طلحة ، فخطبها ، فقالت : إنى قد أسلمت ، فإن أسلمت نكحتك ، فأسلم ، فكان صداق ما بينهما الإسلام» (أخرجه النسائى) .

ابن عبدالله بن الجارود ، حدثنى أنس بن مالك – « أن النبى ﷺ كان يزور أم سليم فتتحفه بالشيء تصنعه له » . ولا عجب فهى أنصارية خزرجية تنتمى إلى عدى بن النجار .

ويروى أيضاً عن أنس : أنه حدثهم : لم يكن رسول الله ﷺ يدخل بيتا غير بيت أم سُلَيم إلا على أزواجه ، فقيل له : فقال : « إنى أرحمها ؛ قُتِل أخوها وأبوها معى » . وأخوها هو حرام بن ملحان الشهيد الذى قال يوم بئر معونة : « فزت ورب الكعبة لما طعن من ورائه فطلعت الحربة من صدره » . رضى الله عنه .

والجواب عن دخوله بيت « أم حرام وأختها » أنهما كانتا فى دار واحدة .

أنس يخدم النبى ﷺ :

وفى الصحيح عن أنس أن أم سليم لما قدم النبى ﷺ قالت : يا رسول الله ، هذا أنس يخدُمك ، وكان حينئذ ابن عشر سنين فخدم النبى ﷺ منذ قدم المدينة حتى مات ، فاشتهر بخادم النبى ﷺ .

ويقول الإمام القرطبى : « كانت أم سليم يوم حنين من بين الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ وهى ممسكة بعيرا لأبى طلحة ، وفى يدها خنجر دفاعا عن رسول الله ﷺ » .

ويُفرد الإمام مسلم فى صحيحه بابا يتناول فيه فضائل أبى طلحة الأنصارى وزوجه « أم سُلَيم » .

ومن حق الزوجة المسلمة أن تطلع على شيء من فضائل أم سُلَيم لتعرف كيف كانت تتصرف فى الشدائد ؟ وكيف كانت تصبر ؟، وكيف واجهت الابتلاء بإيمان لا يتزعزع ، وثبات ويقين .

عن أنس – رضى الله عنه –:

مات ابن لأبى طلحة من أم سُليم ، فقالت لأهلها : لا تحدثوا أبا طلحة بابنه ، حتى أكون أنا أحدثه .

قال : فجاء ، قربت إليه عَشاء ، فأكل وشرب . فقال : ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك ، فوقع بها ، فلما رأت أنه قد شبع ، وأصاب

منها ، قالت :

يا أبا طلحة ، أرأيت لو أن قومًا أعاروا عاريتَهم أهلَ بيت ، فطلبوا عاريتهم ، ألهم أن يمنعوهم ؟

قال : لا .

قالت : فاحتسب ابنك !

قال : فغضب ، فقال : تركتني حتى تلطخت ، ثم أخبرتني بابني . فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ ، فأخبره بما كان ، فقال رسول الله ﷺ :

« بارك الله لكما فى غابر ليلتكما » .

قال : فحملت .

قال : فكان رسول الله ﷺ فى سفر وهى معه ، وكان رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة من سفر ، لا يطرقها طروقا ، فدنوا من المدينة ، فضربها المخاض ، فاحتبس عليها أبو طلحة ، وانطلق رسول الله ﷺ .

قال : يقول أبو طلحة : إنك لتعلم ياربِّ أنه يعجبنى أن أخرج مع رسولك إذا خرج ، وأدخل معه إذا دخل ، وقد احتبست بما ترى .

قال : تقول أم سليم : يا أبا طلحة ، ما أجد الذى كنت أجد ، انطلق ؛ فانطلقنا .

قال : وضربها المخاض حين قدما ، فولدت غلاما ، فقالت لى أمى ، يا أنس ، لا يُرضعه أحد حتى تغدو به على رسول الله ﷺ .

فلما أصبح احتملته ، فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ فصادفته ، ومعه مِيسَم[1] ، فلما رآنى قال :

« لَعلّ أمّ سُلَيم ولدت » ؟!

قلت : نعم .

فوضع المِيسَم .

قال : وجئت به ، فوضعته فى حجره ، ودعا رسول الله ﷺ بعجوة

---

(١) الميسم : هى الآلة التى يكوى بها الحيوان من الوسم وهو العلامة .

من عجوة المدينة ، فلاكها فى فيه حتى ذابت ، ثم قذفها فى فى الصبى ، فجعل الصبى يتلمظُها[1].

قال : فقال رسول الله ﷺ : « انظروا إلى حُبّ الأنصار التمر » .

قال : فمسح وجهه ، وسماه عبد الله ، فأنجب ورزق أولاداً ، قرأ القرآن منهم عشرة .

والآن ..

لم يبق إلا العمل البنّاء ..

وهذه دعوة موجهة إليك ..

فهل أنت على استعداد لتلقى الدعوة ؟!

(١) أى يديرها بلسانه ويحركها ، ويتتبع أثر التمر . ويروى : «أبت الأنصار إلا حب التمر» . «الطبقات» .

دعْوة المرأة إلى العمل الإيجابى

قال الله تعالى فى سورة التوبة فى الآية رقم : ٧١ :

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضُهم أولياءُ بَعْض ..
يأمرون بالمعروف ..
وينهون عن المنكر ..
ويُقيمون الصلاة ..
ويؤتون الزكاة ..
ويُطيعون اللهَ ورسولَه ..
أولئك سيرحمهم الله ..
إن الله عزيز حكيم ﴾

[التوبة : الآية رقم : ٧١]

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

الفهـرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
نماذج القدوة الحسنة والأسوة الطيبة	٩
أولاً : المرأة المسلمة أما وحاضنة ومرضعاً	١١
١ – أم هانىء	١٤
٢ – لبابة بنت حارث	١٧
٣ – أروى بنت عبد المطلب	١٩
٤ – أم أيمن	٢١
٥ – حليمة السعدية	٢٤
٦ – الشيماء بنت الحارث	٢٦
ثانياً : المرأة المسلمة زوجة	٢٩
١ – خديجة بنت خويلد	٣٢
٢ – سودة بنت زمعة	٣٥
٣ – زينب بنت محمد	٣٨
٤ – رقية بنت رسول الله ﷺ	٤٤
٥ – أم حكيم بنت الحارث	٤٧
٦ – خولة بنت مالك بن ثعلبة	٤٩
ثالثاً : المرأة المسلمة بنتًا	٥٣
١ – فاطمة بنت النبى ﷺ	٥٦
٢ – أسماء بنت أبى بكر الصديق	٦٢
٣ – درة بنت أبى لهب	٦٧
٤ – أم كلثوم بنت عتبة	٦٨
٥ – خنساء بنت خذام	٧١
٦ – بريـرة	٧٤
رابعاً : المرأة المسلمة أختًا	٧٧
١ – صفية بنت عبد المطلب	٨٠
٢ – فاطمة بنت الخطاب	٨٤
٣ – فاطمة بنت الوليد	٨٧
٤ – سنانة بنت حاتم الطائى	٨٨
٥ – الفارعة بنت أبى الصلت	٩١
٦ – فاطمة بنت عتبة بن ربيعة	٩٢
خامساً : المرأة المسلمة مبايعة ووافدة	٩٣
١ – أميمة بنت رقيقة	٩٨
٢ – معاذة جارية عبد الله	١٠٠

٣ – هند بنت عتبة ١٠٢
٤ – أسماء بنت يزيد ١٠٦
٥ – حواء بنت يزيد ١٠٨
٦ – أم رعلة القشيرية ١٠٩
سادساً : المرأة المسلمة مهاجرة ١١١
١ – أم مسلمة ١١٤
٢ – أم حبيبة بنت أبي سفيان ١٢٠
٣ – أسماء بنت عميس ١٢٢
٤ – ليلى بنت أبي حتمة ١٢٤
٥ – الشفاء بنت عبد الله ١٢٦
٦ – فاطمة بنت قيس ١٢٨
سابعاً : المرأة المسلمة مجاهدة ١٣١
١ – نسيبة بنت كعب ١٣٤
٢ – أم حبيب بنت العاص ١٤٠
٣ – أم حرام بنت ملْحان ١٤١
٤ – محنة بنت جحش الأسدية ١٤٣
٥ – هند بنت عمرو بن حرام ١٤٥
٦ – سمية ١٤٩
ثامناً : المرأة المسلمة مداوية وآسية ١٥٣
١ – الربيع بنت معوذ ١٥٦
٢ – أم سنان الأسلمية ١٥٨
٣ – أم زياد الأشجعية ١٦٠
٤ – كعيبة بنت سعد الأسلمية ١٦١
٥ – أمية بنت قيس الغفارية ١٦٢
٦ – رفيدة الأنصارية ١٦٦
تاسعاً : المسلمة عالمة راوية للحديث ١٦٩
١ – عائشة بنت أبي بكر ١٧٣
٢ – أم حميد ١٩١
٣ – أم أنس ١٩٢
٤ – فاطمة بنت أسد ١٩٣
٥ – أم معبد الخزاعية ١٩٦
٦ – أم سليم بن ملحان ١٩٩
دعوة المرأة إلى العمل الإيجابي ٢٠٠